المقتطف

الجزء الرابع من المجلد السادس والخمسين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٢٠ — الموافق ١٢ رجب سنة ١٣٣٨

بسائط علم الكيمياء

(٩) الكبريت والسلينيوم

كل العناصر التي تقدَّم الكلام عليها في الاجزاء السابقة اي الاكسجين والهدروجين والنتروجين والكلور والبروم واليود والفلور ليس لها اسماء في العربية لانها لم تعرف الاَّ منذ عهد قريب . اما الكبريت فقد كان معروفاً من قديم الزمان لانهُ يوجد صرفاً في اماكن كثيرة . ولا نزال نتذكر اننا كنا نجدهُ كذلك في سفح لبنان على مقربة من قرية عبيه التي كانت فيها اكبر مدارس المرسلين الاميركيين . وكان اهل الكيمياء من العرب وغيرهم يحسبون الكبريت اصلاً للذهب والفضة هو والزئبق ويقولون ان في الارض اربعة ارواح وهي الكبريت والزئبق والزرنيخ والنوشادر . وستة اجسام وهي الذهب والفضة والنحاس والقصدير والرصاص والحديد . وانهُ اذا اتحد الزئبق الابيض النقي بالكبريت الاحمر النقي تولَّد من اتحادهما ذهب . واذا اتحد الزئبق الابيض النقي بالكبريت الابيض النقي تكوَّن من اتحادهما فضة . واذا كان الزئبق والكبريت غير نقيين تكوَّن من اتحادهما سائر المعادن . ونقل بعضهم عن الامام الرازي انهُ كان يقول لا فرق بين الفضة والنحاس سوى اللون فاذا زال لون النحاس الاحمر صار فضةً . لكن حكماء العرب لم يكونوا كلهم من هذا الرأي بل كان جمهور كبير منهم ينفي الكيمياء اي ينفي تحويل المعادن الى ذهب وفضة ويتَّهم اصحابها بالتضليل او بالتخريف

ومهما يكن من ذلك فالكبريت من اهم العناصر واكثرها وجوداً ومركباتهُ من اوسع المركبات انتشاراً واكثرها استعمالاً . فالطبيعي الصرف موجود بكثرة في سواحل بحر الروم واماكن اخرى كثيرة اخصها جزيرة صقلية بايطاليا حيث بلغ المستخرج منهُ سنة ١٩١٧ نحو ٢٣٠ الف طن. ومركَّباتهُ مع الحديد والنحاس والرصاص والزنك والزئبق والانتيمون والكلسيوم ومعادن اخرى تكوّن جانباً كبيراً من طبقات الارض . وهو موجود في جراثيم بزور النبات وفي الزيوت الحرّيفة التي تستخرج من الخردل والثوم وفي البيض والزلال والفبرين والجلاتين والشعر واللعاب والبول والصفراء وكل اجزاء البدن وفي نوع من المكروبات يسمى البكتيريا الكبريتية

ويباع الكبريت على شكلين مختلفين الواحد قضبان اسطوانية قصفة وهو المسمى بالكبريت العمودي . والثاني مسحوق ناعم جدًّا وهو المسمى زهر الكبريت. ولونهُ في الحالين اصفر فاقع واصفرارهُ يكاد يكون خاصاً بهِ ولذلك يقال هذا اصفر كبريتي . وكلهُ لا طعم لهُ ولا رائحة اذا كان صرفاً وما يشمُّ منهُ ليس رائحة الكبريت الصرف بل رائحة ما تأكسد منهُ في الهواء لانهُ شديد الشراهة للاكسجين. واذا احمي الكبريت العمودي في اناءٍ مسدود او ضيق العنق الى درجة ١١٥ بميزان سنتغراد صار سائلاً اصفر ثم يدكن لونهُ رويداً رويداً حتى يصير اسود متى بلغت حرارتهُ ٢٠٠ درجة وعند الدرجة ٤٤٤ يغلي ويصعد عنهُ بخار ثقيل اصفر داكن واذا لاقى هذا البخار هواءً بارداً تكاثف وصار مسحوقاً ناعماً وهو زهر الكبريت المذكور آنفاً . واذا صُبَّ الكبريت المصهور في انابيب اسطوانية جمد وصار منهُ الكبريت العمودي . واذا بُرّد ببطءٍ بعد ما صهر تولَّدت منهُ بلورات موشورية طويلة دقيقة لمَّاعة شفافة وهي جديدة. واذا زيدت الحرارة عليه وهو مصهور اسمرَّ لونهُ رويداً رويداً وصار لزجاً كالدبس الى ان تبلغ الحرارة ١٨٠ درجة فيبقى على هذه الدرجة مدة لا يزيد عليها ولو احتدمت النار تحتهُ ثم تزيد حرارتهُ الى ان تبلغ الدرجة ٢٦٠ وحينئذ تقلُّ لزوجتهُ ويعود الى السيولة . واذا صُبَّ حينئذٍ في الماء البارد صار علكاً مطَّاطاً مرناً ولكن هذه الصفة تفارقهُ بعد بضع ساعات فيعود اصفر قصفاً متبلوراً

واللون الاصفر هو الغالب على الكبريت لكنهُ قد يكون احمر او اسود او

ابيض. والاحمر منهُ يضرب المثل العربي بندرتهِ فيقال اندر من الكبريت الاحمر. والاسود غير نقي والابيض هو المسمَّى بلبن الكبريت

وبلورات الكبريت مختلفة الاشكال اشهرها نوعان نوع مواشير دقيقة معيَّنة القاعدة. ونوع مركب من هرمين على قاعدة واحدة لكلٍ منهما اربعة جوانب فهو ذو ثمانية سطوح . وهناك شكل ثالث غير متبلور . والظاهر ان ذا الثمانية السطوح هو الشكل الاصلي

والبلورات الموشورية تصهر عند الدرجة ١٢٠ وذات الثمانية الجوانب عند الدرجة ١١٥ وثقل الاولى النوعي ١٫٩٨ وثقل الثانية النوعي ٢٫٠٥

ولا بلورات في زهر الكبريت بل هو مؤلف من كريَّات باطنها ممَّا يذوب وظاهرها ممَّا لا يذوب

والكبريت العمودي يكون عند اول سبكهِ مؤلفاً من بلورات موشورية واذا طال عليهِ الزمان صارت بلوراتهُ مثمنة السطوح ولو بقي ثقلهُ النوعي على حالهِ ولذلك يصير سريع الانقصاف لشدَّة انضغاط بلوراتهِ حتى اذا امسكت قطعة منهُ وكانت يدك حارَّة انكسرت من نفسها لاختلاف الضغط الحادث من اختلاف درجة الحرارة

ولا يذوب الكبريت في الماء ولكنهُ يذوب قليلاً في الالكحول والايثر والزيوت الدهنية . واقوى مذوباتهِ بي كبرتيد الكربون وكلوريد الكبريت . واذا تُرك مذوبهُ حتى يتبخَّر رسب بلورات مثمنة الجوانب. واذا فُرك تولدت منهُ كهربائية سلبية واذا احمي في اناء مكشوف اشتعل عند الدرجة ٢٤٣ بلهب ازرق باهت اي انهُ يتحد باكسجين الهواء ويتولد منهُ اكسيد الكبريت الثاني الخانق وهذا يتناول جوهراً من البخار الذي في الهواء فيصير منهُ الحامض الكبريتوس

وما عسانا ان نعدد من اختلافاتهِ فانها كثيرة في سائر صفاتهِ حتى كانهُ حيٌّ لا يبقى على حالة واحدة

ويعدُّ الكبريت ثانياً للاكسجين في شدَّة إلفتهِ لغيرهِ من العناصر فانهُ يتحد باكثرها ولذلك يسهل اشتعالهُ لشدة إلفتهِ لغيرهِ. ولا عجب فان الاحتراق من نتائج الالفة. وهو يتحد بالفلور والكلور مباشرة ويتحد كذلك ببعض المعادن اذا كانت اجزاءً دقيقة وبكل العناصر غير المعدنية اذا كانت الحرارة عالية ما عدا النتروجين.

وباكثر العناصر المعدنية. ولشدة الفته لغيره يستعمل في عمل البارود وتصنع منهُ لعبة تمثل براكين النار بمزج ثلاثة ارطال من برادة الحديد ورطلين من مسحوق الكبريت وبل المزيج بالماء وطمرهِ في الارض فبعد حين تتولد حرارة من تأكسد الحديد تكفي لاشعال الكبريت وتبخر الماء فينفجر من الارض كالبركان

وقد لا يكتفي الكبريت بدرجة واحدة من الاتحاد بل يتحد بالعنصر الواحد على درجات مختلفة كما ترى في اتحادهِ بالاكسجين فان من مركباتهِ معهُ الحامض الهيبوكبريتوس والحامض الكبريتوس والحامض الكبريتيك والحامض الثيوكبريتيك والحامض الدثيونيك والحامض الترثيونيك والتتراثيونيك والبنتاثيونيك . وكلمة ثيون اسم الكبريت باليونانية استعارها الكيماويون لان كلمة سلفر اللاتينية لا تكفي للتعبير عن كل هذه المركبات . فمعنى الدثيونيك والترثيونيك والتتراثيونيك والبنتاثيونيك الحوامض التي فيها جوهران وثلاثة واربعة وخمسة من الكبريت

ولشدَّة الفة الكبريت للعناصر الاخرى يتحد باكثر المعادن وقد يسرع اتحادهُ بها حتى يشعلها فاذا أُحمي سلك من الفضة او من النحاس وادخل في بخار الكبريت اشتعل كما يشتعل سلك الحديد في غاز الاكسجين . ولشدَّة الفتهِ للاكسجين يستعمل احياناً لاطفاء النيران لانهُ يقبض على اكسجين الهواء ويمنعهُ من الاتحاد بالوقود لاشعال النار

ويكثر وجود الكبريت متحداً بالحديد والنحاس والرصاص والزنك والبوتاسيوم والصوديوم والباريوم والمغنيسيوم والكلسيوم على شكل كبريتيد اي كبريت وعنصر . ومتحداً بها ايضاً على شكل كبريتات اي حامض كبريتيك وعنصر. فمن الاولى كبريتيد الحديد وكبريتيد النحاس وكبريتيد الرصاص وكلها حجارة معدنية مركبة من هذه المعادن والكبريت. ومن الثانية كبريتات الكلس (الجص) وكبريتات المغنيسيا وكبريتات البارينا

واذا حرق الكبريت في الهواء تولَّد منهُ غاز خانق هو اكسيد الكبريت الثاني (ك ا$_{٢}$) وهذا الغاز يذوب في الماء بسهولة فيصير منهُ الحامض الكبريتوس وهذا المذوب يمتص الاكسجين من الهواء فيصير منهُ الحامض الكبريتيك . وغاز الحامض الكبريتوس كثير الاستعمال لقصر المنسوجات والاسفنج والبرانيط

ولاماتة المكروبات. واهم ما يستعمل لهُ استحضار الحامض الكبريتيك او زيت الزاج

واخص مركبات الكبريت مع الهدروجين الهدروجين المكبرت (هـ$_٢$كر) وهو غاز رائحتهُ كرائحة البيض الفاسد يعرفهُ كل المشتغلين بالكيمياء ولاسيما الكيمياء التحليلية لانهُ قلما يفارقهم ساعة كل مدة اشتغالهم بها. ويتحد الكبريت بالكلور ايضاً فيكوّن كلوريد الكبريت (كـ$_٢$كل$_٢$) وهو سائل كريه الرائحة وبي كلوريد الكبريت (كـ كل$_٢$) وتتراكلوريد الكبريت. وبالكربون فيكون بي كبريتيد الكربون وهو سائل كريه الرائحة تغثى لهُ النفس اذا شمهُ الانسان مرةً لا ينسى رائحتهُ مدى عمرهِ. ومن خواصهِ انهُ يذيب الكبريت والكاوتشوك ويقتل الحشرات ولذلك يوضع قليل منهُ في مخازن الحبوب فيصعد غازاً ثقيلاً يتخلل الحبوب ويقتل ما فيها من السوس. وتحفر لهُ حفرة قرب دوالي العنب ويصب فيها فيتخلل التراب ويميت حشرات الفيلكسرا التي تتلف كروم العنب

وانفع مركبات الكبريت بالاجماع الحامض الكبريتيك او زيت الزاج الذي يكاد يكون اساس كل الحرف في هذا العصر. وهو سائل ثقيل زيتي القوام يتلف كل ما يتصل بهِ على ما فيهِ من النفع الكبير. والعبرة في كيفية استعمالهِ فاذا وقعت نقطة منهُ على ثوبك حرقتهُ حيث تقع ولكن الثياب لا تنسج الآن ولا تقصر ولا تصبغ من غير توسطهِ او توسط مركباتهِ. والظاهر ان كيماويي العرب كانوا يعرفون الحامض الكبريتيك ويستحضرونهُ باستقطار الزاج (كبريتات الحديد) ولذلك سمي زيت الزاج لانهُ زيتي القوام. اما الاوربيون فاول من استحضرهُ منهم فيما يعلم الراهب باسيليوس ڤالنتين في القرن الخامس عشر وذلك باستقطار الزاج. ولا يزال هذا الحامض يستحضر على هذه الصورة وهو الحامض الكبريتيك النوردهوسني او المدخن. ثم اكتشفت طريقة اخرى لاستحضارهِ وهي الطريقة التي اصلحها الكيماويون الفرنسويون في اواسط القرن الثامن عشر ودام الاعتماد عليها الى اوائل هذا القرن ومدارها على حرق الكبريت وادخال بخارهِ الى غرف مبطنة بالرصاص في اسفلها ماء وباحماء نترات البوتاسا (ملح البارود) او نترات الصودا مع حامض كبريتيك حتى يتولد الحامض النتريك وادخال بخاره ايضاً الى الغرفة فيصير في الغرفة هواء وماء وغاز الحامض الكبريتوس

من احتراق الكبريت وغاز الحامض النتريك من احماء نترات البوتاسا او الصودا. فغاز الحامض الكبريتوس يأخذ اكسجيناً من غاز الحامض النتريك ويصيرهُ اكسيد النتروجين الثاني وهو يصير حامضاً كبريتيكاً فيمتصهُ الماء الذي في اسفل الغرفة . ثم ان اكسيد النتروجين الثاني يصعد الى اعلى الغرفة ويأخذ جوهرين من اكسجين الهواء ويسلمهما الى غاز الحامض الكبريتوس حتى يصير حامضاً كبريتيكاً وهلم جرًّا. ولا يزال الماء يمتص غاز الحامض الكبريتيك المتولد كذلك الى ان يصير ثقلهُ النوعي ١٫٤٥ فيؤخذ من الغرفة ويجفف حتى يصير ثقلهُ النوعي نحو ١٫٨٤٥ وهو زيت الزاج التجاري

ثم ابدل حرق الكبريت بحرق الحجارة المركبة من الحديد والكبريت واستمرَّ العمل في غرف الرصاص الى عهد قريب . ثم ابدلت غرف الرصاص التي يستعان فيها بغاز الحامض النتريك على اخذ الاكسجين من الهواء بغرف فيها بلاتين على شكل الاسبستوس وهو الوسيلة لجعل بخار الكبريت يأخذ الاكسجين من الهواء ويصير بهِ حامضاً كبريتيكاً نقياً بعد مرورهِ في آنية فيها ماء. ويقال ان هذه الطريقة اصلح الطرق لاستحضار هذا الحامض

وعنصر السلينيوم يشبه الكبريت في تغير اشكالهِ فقد يكون مسحوقاً احمر قرميدياً او قضباناً زجاجية سوداء قصفة او بلورات حمراء او معدناً رمادي اللون وقد اشتهر حديثاً لانهُ في حالتهِ المعدنية يوصل الكهربائية وهو في النور اشد مما يوصلها وهو في الظلام ولذلك استعمل فيما سمي بالعين الصناعية التي صورناها وشرحناها في مقتطف اكتوبر ١٩٠٥ وهي آلة تتأثر بالمرئيات تأثراً كهربائياً يحدث صوتاً في تلفون صغير يسمعهُ الاعمى فيعلم بالممارسة شكل المرئي الذي سبَّبهُ. والمرئي هنا حروف الكتابة فاذا وقع النور على الحروف السوداء وما حولها من الورق الابيض اختلف تأثيرهُ في السلينيوم الذي في الآلة فتجري فيها مجاري كهربائية مختلفة تؤثر في تلفون سماعتهُ موضوعة على اذن الاعمى فيسمع بها اصواتاً تختلف باختلاف اشكال الحروف فيتعلم سريعاً تعليق كل صوت منها بالحرف الذي سببهُ فيصير يقرأ حروف الطبع العادية كالبصير . وهذا الاستنباط مبني على ان السلينيوم يتأثر بالنور فيزيد ايصالهُ للكهربائية او ينقص حسب قوة النور

كتاب التفاحة

لما اطلع الاستاذ مرجوليوث على كتاب التفاحة المنشور في الاجزاء السابقة من المقتطف بعث الينا برسالة نشرها قديماً في مجلة الجمعية الاسيوية الملكية عن كتاب التفاحة هذا اثبت فيها ترجمةً فارسية لهُ وترجمتهُ لها الى اللغة الانكليزية . ويقال فيها ان الفيلسوف الذي وقع الحديث معهُ هو ارسطوطاليس لاسقراط كما جاء فيما نشرهُ الشيخ امين ظاهر خيرالله في المقتطف. وحينئذٍ يستقيم معنى الدواء وتصح الاشارة الى افلاطون الذي توفي قبل ارسطو لاقبل سقراط فان سقراط توفي سنة ٣٩٩ قبل المسيح وافلاطون سنة ٣٤٦ قبل المسيح وارسطو سنة ٣٢٢ قبل المسيح . وتبطل الحاشية الاولى التي اضطر ان يحشيها الشيخ امين في الصفحة ٤٧٧ من المجلد الخامس والخمسين من المقتطف والحاشية المذكورة في الصفحة ١٠٨ من المجلد السادس والخمسين

وقد كتبنا الى دمشق نسأل عمَّا جاء في النسخة الاصلية عن هذا الكتاب ولم يرد الينا الجواب حتى كتابة هذه السطور لكننا وجدنا في مكتبة صاحب السعادة احمد باشا تيمور كتاباً مخطوطاً فيهِ رسائل مختلفة يقال انها مترجمة عن اليونانية وبينها مختصر كتاب التفاحة هذا وهو منسوب الى سقراط لا الى ارسطو ونسقهُ مثل نسق الكتاب الذي نشرناهُ كانهُ مختصر منهُ

ثم ان الشيخ امين ظاهر خيرالله الذي تولى نسخ هذا الكتاب وتقديمهُ الى المقتطف اخبرنا انهُ نقَّح بعض الفاظهِ التي حسب ان النساخ حرفوها او اخطأوا فيها وانهُ هو الذي فصل اجزاءهُ بعضها عن بعض ووضع لكل فصل عنواناً . وكان الواجب ان نضع هذه العناوين بين قوسين للدلالة على انها زائدة

اما الاستاذ مرجوليوث فقد قدَّم لرسالتهِ مقدمة مسهبة تدل على بحث كثير واستقراء واسع ربما اتينا عليها في فرصة اخرى . وقد قال فيها ان الاصل العربي لكتاب التفاحة لا يعلم انهُ موجود. فجاء ما نشرناهُ في المقتطف مؤيداً لوجودهِ في مكتبة البطريرك الانطاكي للروم الارثوذكس في دمشق ولعلهُ يوجد في مكاتب اخرى شرقية . وسنعود الى هذا الموضوع في فرصة اخرى

مجلس جمعية الامم

اجتمع مجلس جمعية الامم اجتماعهُ الاول في باريس في يناير الماضي ثم اجتمع اجتماعهُ الثاني في لندن في اواسط شهر فبراير وحضر الاجتماع ثمانية من اعضائهِ التسعة وهم نواب بريطانيا وفرنسا وايطاليا واليابان (ولم يحضر نائب اميركا) واربعة يمثلون البلجيك والبرازيل واسبانيا واليونان. وانتخبوا المستر بلفور رئيساً لهم فخطب مرحباً بهم ثم قال ان في اجتماعهم شائبة فان مجلس ادارة الجمعية انشىء في باريس على ان يكون اعضاؤهُ خمسة ينوبون عن الدول الخمس الكبرى واربعة عن سائر الدول وان هذه الشائبة هي امتناع نائب الولايات المتحدة عن الحضور معهم. ودام الاجتماع يومين وحضرهُ كثيرون غير الاعضاء كما ترى في الصورة المقابلة. ولغة المجلس الفرنسوية ولكن المستر بلفور وسفير اليابان خطبا بالانكليزية

وكان اكثر البحث في تقرير المسيو بورجوى نائب فرنسا عن تأليف محكمة دولية دائمة. وكان تقرير نائب اسبانيا عن مسئلة المواصلات والترانسيت. وتكلم نائب البرازيل عن الوسائل الصحية الدولية. ونائب البلجيك عن حكومة وادي السار. وكانت سويسرا قد طلبت الانتظام في جمعية الامم فاشار المستر بلفور الى ذلك ثم قال ولكن دستور سويسرا لا يجيز لها ان تفعل ذلك ما لم تستشر شعبها في مجتمع عام (رفرندم) فيجب عليها ان تستشيرهُ اولاً

والباحثون في امر جمعية الامم غير متفقين على نفعها ولا على تقدير البقاء لها إما لان امم الارض لم تتأهل حتى الآن للانصاف والانتصاف او لان المنافسة والمزاحمة تقتضيان نزاعاً على خيرات الارض واطايبها وامجادها يدفع الاقوياء الى ظلم الضعفاء وسلب ما في يدهم واهتضام حقوقهم. ولم نرَ حتى الآن امة من الامم عملت دائماً بمبدإ من المبادىء السامية التي جعلتها جمعيتهم اساساً لوجودها ما لم يكن لها من وراء ذلك مغنم. ولعلَّ هذا يبقى قاعدة مرعية ازمنة طويلة لا يشذّ عنهُ الاَّ افراد قلائل يؤثرون على انفسهم. وحسبنا من ينفع وينتفع ولا يضرّ غيرهُ فرداً كان او امة. وعسى ان توفق جمعية الامم الى لجم شهوات الذين لا يردعهم رادع من تلقاء انفسهم عن الاضرار بغيرهم. وكيفما كانت الحال فقيام جماعة ذوي مروَّة يشكو اليهم الشاكون يزيل بعض الكرب ان لم يزلهُ كلهُ

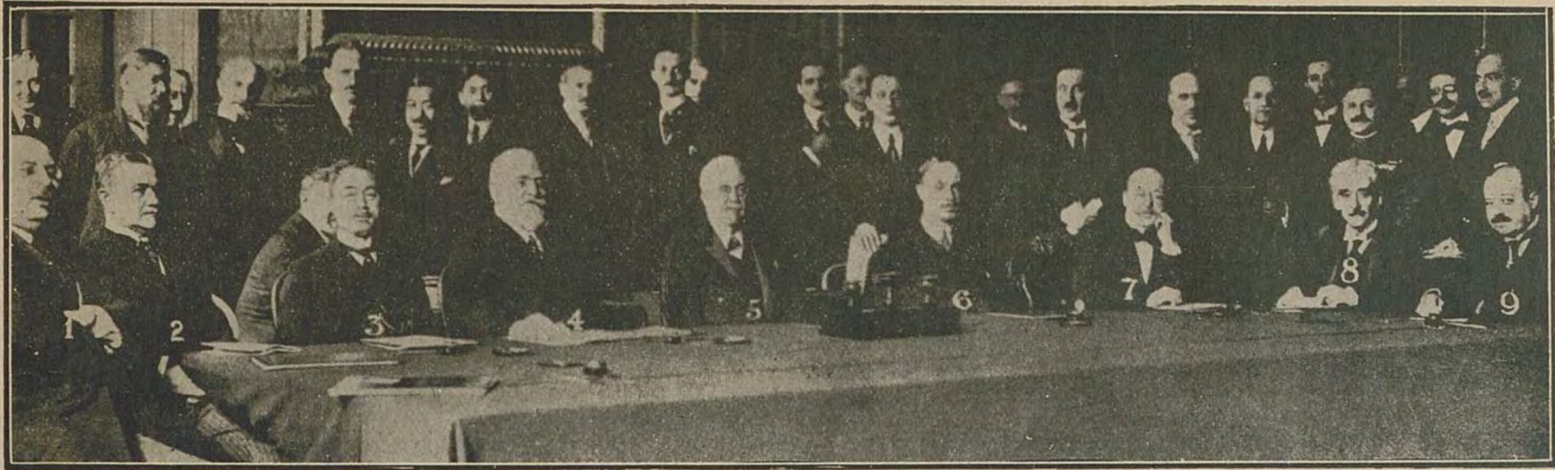

اعضاء جمعية الامم (1) المسيو ككلامانوس معتمد اليونان في لندن (2) السنيور كاستاو ده كنها سفير البرازيل في باريس (3) المستر كتسوي
سفير اليابان في باريس (4) المسيو ليون بورجوى رئيس مجلس السناة الفرنسوي (5) المستر بلفور الذي رأس الاجتماع (6) السر ارك درومن
السكرتير العام لجمعية الامم (7) السنيور فرارس نائب ايطاليا (8) المسيو بول هيمنس عن البلجيك (9) السنيور كوينونس ده ليون عن اسبان

مقتطف ابريل ١٩٢٠
امام الصفحة ٢٩٦

الشيخ طاهر الجزائري

(القاها حضرة الكاتب الفاضل محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي وصاحب المقتبس بمدرسة الحقوق في دمشق على جمهور كبير من رجال العلم والادب يوم ٢٤ جمادى الاولى ١٣٣٨ و١٣ شباط ١٩٢٠ لدى مرور اربعين يوماً على وفاة الاستاذ)

يا سادتي ويا اخواني

لا اعرف من اين ابدأُكم بترجمة عالم الامة العربية ومصلحها وصالحها . بقيت مذ اليوم الذي فجعت فيهِ بهِ وانا اغالب الحزن فيغلبني واعالج الموضوع فيتعاصى عليَّ فكأنني على ساحل بحر أُخذتُ بعظمهِ فلا استطيع وصف لجتهِ ولا ساحلهِ ندفعني الرغبة ثم تأخذني الرهبة فلا ادري كيف اغوص على دررهِ واستخرج موادهُ الحيوية والعضوية والاثرية . نعم ان شيخنا بحر علم زاخر ومثال العالم العامل . ولذلك استميح عفوكم ان قصرت في الواجب فالمحتفل بتأبينهِ كبير جدًّا في صفاتهِ وشخصيتهِ والوقت يضيق عن التوسع في تحليل حياة عظيمة كلها جهاد وجدٌّ وفكر وذكر . ولعمري ان المجلد الضخم برأسهِ قليل اذا كتب في سيرة رجل جمع بين علم السلف وعلم الخلف وقد جاءَ على حين فترة من العلم ليمثل علماءَ الصدر الاول وهضم ما تعلم فامتزج علمهُ باجزاءِ نفسهِ الزكية ممتازاً باخلاقهِ وشممهِ مجرداً عن المطامع بعيداً عن المظاهر . فكان العالم حقًّا وصدقاً خرج بعقلهِ عن مألوف محيطهِ فنفع القديم القويم وانتفع بالحديث السليم

كلٌّ منا ايها السادة يعجب بالنابغة في فن من الفنون ولكن فقيدنا كان نابغة بعلمهِ وافكارهِ عبقريًّا باصلاحهِ وابتكارهِ فهو مجموعة نفيسة من العلوم ومكتبة سيارة ضمت في حناياها المفسر والمحدث والاصولي والفقيه والفيلسوف والاديب واللغوي والكاتب والشاعر والمؤرخ والاثري والطبيعي والرياضي والفلكي والاجتماعي والاخلاقي وبرَّز في كل فرع من الفروع التي قدَّر لهُ الاشتغال بها فعدَّ في اهل الطبقة الاولى من رجالهِ . صفات يعجب لها كل من تأمل فيها وكيف لا يعجب من روح شفافة ملكية حصرت حركتها الى ان رجعت الى ربها راضية مرضية في خير الامة وتحسين الملكات وتقوية مقومات الحياة في العلميات والعمليات

أيها السادة قد يفتتن المرءُ بابنهِ وشعرهِ ويغالي في معلمهِ وسيدهِ ويغلو في

مذهبهِ ومشربهِ وما نحن في فتنتنا بشيخنا الاَّ على الحق وايم الحق وما وصفناه الاَّ بما علمنا وقد علَّمنا القصد والتجانف عن الغلو والافراط

نشأ استاذنا ومغذي ارواحنا وولي نعمتنا وغارس شجرة العلم والفضائل في ربوعنا على مثل ما ينشأ عليهِ طفل حسنت اصوله وفروعهُ وعجنت مادتهُ في بودقة نقية تعهدتها انامل سليمة ووقتها عوادي التخليط والشوائب . ولد سنة ١٢٦٨ هـ في مدينة دمشق ووالدهُ الشيخ محمد صالح مفتي السادة المالكية . ولما شدا شيئاً من علوم اللسان والشريعة اتصل بالمرحوم الشيخ عبد الغني الميداني عالم عصرهِ وعاقل مصرهِ فتخرج بهِ حتى ظهر بفضلهِ نبوغ تلميذهِ وفاق هذا بقوة فهمهِ وصحة حكمهِ ووفرة علمهِ على الشيوخ من معاصريهِ وهو في عنفوان شبابهِ

ولم يكن استاذهُ من الحشوية الذين يسدّون في وجوه مريديهم طرق البحث والنظر بل كان عالماً بحاثة رائدهُ العقل الرجيح وقائدهُ العلم الصحيح فنشأ تلميذهُ على افضل الاخلاق واصح المبادىء العلمية لم يمارس التافهات ولا شغل قلبهُ بالبدع والضلالات فكان درسهُ عليهِ درساً حقيقيًّا يراد منهُ الرجوع بالشريعة الى اصولها والاخذ من آدابها بلبابها ومحاربة الخرافات التي استمرأتها طبقات المتأخرين ولا من يجرؤ على انكارها . فجمع الى سلامة الفطرة وقوة العارضة جودة النظر واخذ النفس بالعمل فجاء منهُ بالدرس والتحقيق فيلسوف الهي او عالم عصري اشبه الاوائل في هديهِ وطريقتهِ وتمثل بالاواخر في نظرهِ ودرسهِ وتسامحهِ . وتلميذ كهذا اذا تخرَّج باستاذ كهذا يأتي ولا وشك على يدهِ من صنوف الخير ما لا يكتب بعض بعضه لمن جمد على قديمه وجحد فضل حديثه

نبذ الاستاذ التقليد في امور كثيرة ولذلك جاءَت اعمالهُ في ادوارهِ الثلاثة اي كونهِ متعلماً وعالماً ومعلماً حافلةً بالغرائب النافعة . ولقي من مقاومة المقاومين وكيد الكائدين الحاسدين من المعاصرين ما يلاقيهِ كل من يبتدع طريقة جديدة وخصوصاً يوم تصدَّى لتأسيس المدارس الابتدائية الاميرية وانشاءِ دار الكتب الظاهرية على عهد المرحوم مدحت باشا والي سورية . ولو لم يرزق عزماً ثابتاً وحزماً يهزأُ معهُ بالمصاعب اذا كان فيها سلامة الامة وادخال النور الى العقول المظلمة لفشل في عملهِ لا محالة . والجمعية الخيرية التي كانت مؤلفة في الظاهر من علماء دمشق واعيانها كان شيخنا قوتها المفكرة ويدها العاملة وقد ساعدهُ في جهادهِ

المرحوم بها بك مكتوبي الولاية اذ ذاك ومن ادباء الاتراك الذين صفت نفوسهم من وصمة الشعوبية وكان له الاثر المحمود في انهاض الامة العربية . ولما اندمجت الجمعية الخيرية في المعارف واصبحت دائرة رسمية عين استاذنا مفتشاً عاماً لمعارف سورية وكان من قبل يتولى التعليم في المدرسة الظاهرية فتيسر لهُ ان يطوف العالم والجاهل من القطر السوري ويبذر في كل مكان ينزلهُ بذرة من بذور فضلهِ تأتي أُكلها فعمرت بفضلهِ كتاتيب كثيرة اميرية وخصوصية وخزائن كتب خاصة وعامة ومنها دار الكتب الخالدية في القدس .ومن اهم ما كان يلتزم الدعوة اليهِ وهي نغمتهُ وامنيتهُ الى ان وافتهُ منيتهُ « اصلاح الاخلاق والعادات »

لم يكن استاذنا في الحقيقة المؤسس الاول فقط للمدارس الابتدائية والاستعدادية في ديارنا بل كان روحها وعقلها يؤلف لها ما يلزمها من كتب التدريس ويعلم معلميها ما ينقصهم في فروعهم ويلقنهم اصول التعليم وهو لا يتظاهر بتعليمهم بل كأنهُ يذاكرهم ويناقشهم. ومن الكتب التي وضعها على ذاك العهد الجواهر الكلامية في العقائد الاسلامية وقصص الانبياء ومد الراحة لاخذ المساحة وكتاب في الحساب وخواص الاجسام في الطبيعيات ورسالة في النحو واخرى في البديع وثالثة في البيان ورابعة في العروض وكتاب سماهُ تسهيل المجاز الى فن المعمى والالغاز الى غير ذلك مما هو مطبوع متداول.ومن اهم كتبهِ شرح رسائل ابن نباته وارشاد الالبا الى طريق تعليم الف با وهو من اهم الكتب في علم التربية والتعليم على الطريقة العملية يعدُّ من مبتكراتهِ .ورسالتهُ وجداولهُ في الخطوط ورسالة امنية الالمعي وكتاب توجيه النظر الى اصول الاثر وهو مجلد ضخم فيهِ من ضروب التحقيق ما ينم على سعة علم مؤلفهِ وكتاب التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن وهو مقدمة تفسيرهِ الكبير الذي لم يطبع ويدخل في بضعة مجلدات . ومما طبعهُ مقدمة لمعجم اللغة الذي وضعهُ ولم يوفق الى طبعهِ وهو في جملة تركتهِ الثمينة . ومن مؤلفاتهِ التي لا تزال تحت الطبع امثال العرب التي يصح الاستشهاد بها وتؤخذ منها حكمة وسياسة .وآخر كتبهِ التي طبعها هذه السنة التقريب الى اصول التعريب وهو نموذج صالح من احاطتهِ باللغة العربية واشتقاقاتها واستكناه اسرارها وتمكنهِ من امهات اللغات التي تعد من اخواتها ولاسيا اللغة الفارسية وكان يحسنها جيداً كالتركية وينظم فيها الشعر ويعرف

من الافرنسية والعبرانية والسريانية والحبشية كل ما لهُ علاقة بالعربية من المفردات والاوضاع ويتكلم بلغة الزواوي . ومن مؤلفاتهِ الالمام باصول سيرة النبي عليهِ الصلاة والسلام طبع منهُ بضعة كراريس . ومقاصد الشرع وغير ذلك

اما معرفة الاستاذ بالشريعة وتاريخها والملل والنحل وما يتشعب عنها وتاريخ العرب وتراجم رجالهم وسلاسل اعمالهم ومناقشاتهم ومناظراتهم فهو فيهِ الحجة الثبت بل العلم المفرد لو تيسر لعالم غربي اليوم ان يجمع بعضهُ في صدره لعدَّ في الصف الاول بين العالمين. وقد ساعده على النبوغ في ذلك قوة حافظتهِ التي لا تكاد تنسى ما تمر بهِ مهما طال العهد. وتذكراتهُ البالغة عشرات من المجلدات تحتوي قدراً غير يسير من وصف الكتب والرسائل المطبوعة والمخطوطة للمحدثين والاقدمين وهي غريبة في بابها فبينا تراهُ ينقل رأياً مهمًّا في التفسير او خاطراً صحيحاً في الاصول او شاردة نادرة في الادب اذا بك تراهُ ينقل جملة طويلة في مذهب النشوء والارتقاء او رأياً جديداً للماديين او اكتشافاً مهمًّا للأثريين. ولا اغالي اذا قلت انهُ قرأ جميع الكتب التي طبعت في الشرق والغرب باللغة العربية او ترجمت من اللغات الاوربية الى لغتنا. اما المخطوطات التي تدارسها واختصرها او علق عليها فتقرب من المطبوعات ان لم تكن اوفر عدداً. ومعظم ما كان يتصفحهُ يكاد يتلوهُ تلاوة تدبر وتحقيق وقد يعاود مطالعة الكتاب الجيد مرات . وقلَّ ان يدانيهُ احد ممن رأيت من العلماءِ هنا وفي الغرب في معرفة المظان ولذلك كان يستسهل التأليف متى وجد من يطبع لهُ وقلما وجد بغيتهُ في هذا السبيل ويا للاسف فربما الف الكتاب الممتع في اسبوع في موضوع صعب يحتاج فيهِ غيرهُ الى سنة ولكن على شرط ان يعرف ان العزيمة تصح على اخراجهِ للناس بالطبع غداً

لا يخطر ببال من يرى الشيخ من بعيد لاول مرة انهُ عالم وفي هذه الطبقة من العلم لانهُ كان يتزيا عن قصد بزي السوقة العامة حتى لا يكون لهُ امتياز على غيره . واعظم من هذا ان يراهُ آية من آيات الله في السياسة يحكم على المسائل قبل وقوعها فيصيب في حكمهِ على الغالب. واذكر انهُ تنبأ بوقوع الحرب الاوربية العامة قبل ان يغتال قتيل سراجينو وقال ان سورية تخرج عن حكم العثمانيين في القريب العاجل. ومعرفة الاستاذ بالسياسة — وقد شهد لهُ بهذه المعرفة كبار الاخصائيين — منبعثة ولاشك من استبحاره في معرفة طبائع الامم وتواريخها ووقائعها دع ما

هناك من ذهن وقاد وخاطر مولد ومادة منوعة بقيت تزيد الى قبيل وفاتهِ باسبوعين زيادة مطردة

وكان لهُ رحمهُ الله غرام بمطالعة الصحف السياسية والمجلات العلمية لا يكاد يترك منها جملة مهمة الاَّ ويقرأها ويفضل من الصحف والمجلات ما يكثر فيهِ الترجمة لانهُ يرى ان الاستعداد للتأليف قليل وخير لنا ان ننقل عمن سبقونا اشواطاً بعيدة في المدنية. وكم من مجلة او جريدة في الشام ومصر أُنشئت باشارتهِ ومعاونتهِ وكم من كتاب ورسالة نشر بتنشيطهِ او تصحيحهِ وتعليقهِ. فكان همهُ الاكبر احياءَ آثار العرب ثم التعريب عن امم الحضارة الحديثة

ومما عرف بهِ انهُ كان يقصر طريق العلم على من يتوسم فيهِ استعداداً للتعلم من اي طبقة كان ويبدأُ يدرجهُ من البسائط. وكم من عامي اصبح بتدريبهِ القليل يؤلف ويكتب. وكان لا يجوّز ان يحرم من نعمة العلم احد مهما كان جنسهُ ومذهبهُ ويرفع غشاوة الوهم عن عيون طالب العلم. اما المتشهي الذي يجلس اليهِ ويحاول ان يسألهُ في عويص المسائل وهو لا يدرك مباديها فيعرض عنهُ حتى ادعى بعضهم ان الشيخ طاهراً ضنين بعلمهِ والحقيقة ان الشيخ يقصد ان يحيل اولئك المتشهية على الدرس بانفسهم حتى اذا حصلت لهم ملكة تمكنهم من الفهم نحل لهم المشكلات ثم يتعلمون بذلك الاعتماد على النفس لا ان يضيعوا اوقاتهم واوقات غيرهم في مسائل لم يستعدوا لها ولا قرأوا اوائلها

كان الاستاذ على جانب من التسامح مع اهل الاديان والمذاهب لم اسمعهُ ظن في احد لمذهب. يصحب رؤساءَ الفرق المختلفة ويخفف من تعصبهم لنحلهم مع طول العشرة وذكر كتب لهم يطالعونها. الاَّ انهُ كان لا يتسامح ان يعرّض احد ببعض الأئمة او ببعض الخلفاء الذين كان يقدمهم لحسن بلائهم في خدمة الاسلام والمسلمين. وكان على كثرة غرامهِ باللغة العربية وحبهِ للعرب لا يحط من قدر غيرهم من الشعوب والامم ويحب ان يذكر كل محسن باحسانهِ وتعرف كل امة بخصائصها الطيبة. وكان يعجب بجلد علماء المشرقيات في الغرب ولهُ مع الطبقة العليا منهم مساجلات يستفتونهُ في مشاكلهم فيحلها لهم ويكاتبونهُ وترتاح نفوسهم لعشرتهِ

وكان من المعجبين بالتربية الانكلوسكسونية مثلاً ولكنهُ يعرف لكل جيل ولاهل كل افق مزاياه وصفاتهِ وبقدر ما كان يمدح من آداب الترك كان يقدح

في حكومتهم وينذرها بالانقراض لظلمها ولانها قضت على العلوم الاسلامية فصيرتها صورية وجعلت معظم اوضاعها وترتيباتها رسمية خيالية ولذلك لم يكتب لها البقاء. وقد زادت كراهتهُ لهم وسعيهُ في زوال سلطانهم من طرق العلم والدعاية المثمرة يوم اشتدوا في الضغط على الافكار وعطلوا دروس العلم ودرسوا معاهدهُ ومدارسهُ ثم قاموا بالدعوة الى تتريك العناصر . وكان مع هذا لا يرى ان يجبه صاحب القوة تفادياً من بطشهِ بل يحتال عليهِ لئلاَّ تنسحق القوة القليلة الغير المنظمة امام القوة الكبيرة المنظمة. وان الاولى بالامة الضعيفة التي تحاول تحريرها من قيود رقها ان تعد اسباب النهوض من علم واخلاق ثم تنفض يدها من يد ظالمها وربما كان اذ ذاك الفراق بدون دم مهراق . فهو صاحب ثورة فكرية لا صاحب ثورة دموية . وكان ابداً يقول كل اصلاح يقوم بسرعة وعلى غير اساس يسقط بسرعة متداعياً وكل ارتقاء لا تستند دعائمهُ الى العلم الصحيح لا يتيسر الانتفاع منهُ ولا الاستمتاع بهِ

وكان مع هذا التسامح المحبوب متصلباً في دينهِ يأتي منهُ رخصه وعزائمه ولا يؤخر صلاة عن وقتها. يصوم ويزكي وقد حج مرة كما ذهب الى احد معارض باريز مرة . لم يدخل طريقة من الطرق ولا جمعية من الجمعيات لانهُ كان يحتاط ابداً ولا يحب ان يتقيد لاحد ولا لفكر خاص ولكنهُ كان كالداخل في كل طريقة وفي كل جمعية يأمنهُ اهل المذاهب والمشارب المختلفة على اسرارهم ويفاتحونهُ باعمالهم. ومن ديدنهِ ان يأخذ الدين حقهُ والدنيا حقها . ويقيم الاعذار لغيرهِ ولا يعترض على احد في مشربهِ ويحب ان لا يعترض عليهِ فيما اختار. ويهدي من يرى فيهِ استعداداً الى سلوك سبيل الرشد بالصحبة وتحبيب المطالعة اليهِ واطلاق فكرهِ من قيوده ليجول مستقلاً

وكان على جانب عظيم من التشدد في اخلاقهِ لا ينزل عن شيءٍ منها حتى مع الملوك والامراء ولو لم يكن زاهداً بما عندهم من النوال والمظاهر لاصاب شيئاً من حطام الدنيا ربما كان يستعين بهِ على نشر علمهِ وترفيه نفسهِ فكأن لسان حالهِ على العظماء ان يقبلوا على العلماء ويعرفوا لهم اقدارهم كما كانت الحال عند الاقدمين لا ان يستخدم الملوك علماءَ الامة سلَّماً لمآربهم لقاءَ عرض قليل. ولذا قضى حياتهُ مقتَّرا عليهِ في الرزق على انهُ لم تؤثر عنهُ شكوى من قلة اصابها ولا تبرُّم من حالة

صار اليها ولا بدرت من لسانهِ بادرة ينبو عنها الادب او يكون فيها شتم وهجر. اما النعيم والهناء فلا عهد لهُ بهما بتاتاً ولم يتزوج حبّاً باستحصال رضا والدتهِ ولأنهُ حبّاً بالانصراف الى الدرس والبحث مباشرة. وكيف يؤلف أُسرة من نفي ليله في الدرس الى الفجر. وقد بقي على ذلك القسم الاعظم من حياتهِ تؤرقهُ افكارهُ وهو يفكر في تشخيص امراض الامة ووصف الدواء الشافي لها

قلَّ في رجالنا من رزق ارادة قوية كارادة المترجم بهِ فكان لا يدهش للحوادث مهما عظمت ويحاول تخفيف البلاء عند نزولهِ ويغرس في قلب جليسهِ طول الامل والانصراف الى العمل ويهوّن المصاعب والمصائب. وندر من كتبت لهم شجاعة ادبية كشجاعتهِ التي طالما اخرجتهُ من مآزق صعبة. وقلَّ الثابتون في صحبتهِ اللهمَّ اذا كانت لهم همم تقارب همتهُ وانفس يريدون ان يخرّجوها بنفسهِ ويروضوها بادبهِ. عصبي المزاج اذا تفكر في امر مستطاع عزم عليهِ ولا يرجع عنهُ حتى يتمهُ ولو كان فيهِ العنت والتعب هذا مع معرفتهِ بانحطاط المحيط وان كل اصلاح لا بد ان يقاومهُ الحكام او المحكوم عليهم

لم يساعدهُ الزمان في رغائبهِ. نشأ في زمن بقيت فيهِ بقايا من العلوم القديمة احتفظ اهلها بها وارادوا بقاءَها محصورة في بيوت معدودة لا تتعداها ولذلك قاومهُ بعض المنتسبين للعلم ايام جاهد في بث التعليم بين جميع طبقات القوم. وبينا هو يدافع الجامدين على القشور من القديم ويحاول اصلاحهُ حتى يبقى انسالت العلوم الطبيعية فاخذ يتوقى تيارها باليمين ويوفق بين التليد والطريف. لا جرم ان عصر الاستاذ كان عصر الثورة الفكرية في سورية وهو اهم عامل فيها ولو قدّر لهُ ان يعيش مرفهاً بعض الشيء كما يعيش العلماء في الغرب لعهدنا وان يعمل عملاً منظماً في اوقات معينة وهو مكفي المؤونة لبلغ ما ألفهُ من الكتب والرسائل مئتين او ثلثمائة مجلد وذلك لسرعتهِ في التأليف واطلاعهِ من الابحاث التي يطرقها وحضور ذهنهِ وعقلهِ الى آخر نسمة من حياتهِ

ولقد رأيت صدر الاستاذ يتسع لكل اوضاع المدنية الحديثة الاَّ الموسيقى والتمثيل فلم يكن لهُ فيهما حظ. وتعليل ذلك ان اللهو واللعب لا محل لهما في سجل اعمالهِ ومطالبهُ اعلى واغلى. وقد نشأت الموسيقى والتمثيل في الشرق على اساس اللهو والتصابي وربما يطول امرهما كثيراً حتى يجمعا بين الفائدة واللذة كما هما في

الغرب والى اليوم يقصد بهما التصابي والتلهي وهما بعيدان عن قاب الاستاذ. وشعرهُ الغزلي في صباه كان ينظمهُ مجاراة لشعراء الغزل وكثير من شعره في الحكم ووصف الزمن وشعرهُ ارقى من شعر الفقهاء ودون شعر المفلقين من الشعراء. ولم يعرف عن الشيخ ان تصابى الاَّ مرة واحدة في ايام شبابهِ وذلك انهُ كان مع بعض رفاقهِ في قصر بدمَّر فجاءَت فتاة اسرائيلية حملها رفاقهُ على ان تقترب من الشيخ وتشوش عليهِ ترتيبهُ وكان يأوي الى ظل شجرة مستغرقاً في كتبهِ فلما رفع رأسهُ وادرك ان الفتاة مسوقة احب ان لا تفوتهُ النكتة فاخرج اليها من جيبهِ قطعة من القمر الدين قائلاً « اتأكلين قمر الدين يا قمر الدين » وصرفها عنهُ بسلام

اما منزلة الاستاذ في الكتابة والخطابة فطريقة السهل الممتنع يكتب ويخطب مع الطبع بدون تكلف وقد حفظت من رسائله الثمينة اليَّ منذ خمس عشرة سنة ما لو جمع لجاءَ منهُ احسن دستور في التربية والارشاد يتأدب بهِ من يريد التطوع في خدمة الامة من طريق العلم والعقل . وكانت اماليهُ في مجالسهِ تدل على مبلغهِ من قوة البديهة وصفاء القريحة الوقادة النقادة وقد يجود في الاكثر ويخلص من اللكنة المغربية بتاتاً اذا لحظ من جلسائهِ ارتياحاً الى الاستزادة من الكلام وهاجت اعصابهُ فاراد تقرير حقيقة ونشر فكر صحيح

وبعدُ فقد لقي الاستاذ الطاهر من الحكومة الحميدية ما كان يلقاهُ كل حر من الارهاق حتى اضطر ان يهبط مصر منذ اربع عشرة سنة واقام على ضفاف النيل كما كان على ضفاف بردى ينشر بين الناس علمه ووجد من رجال النهضة المصرية قلوباً اجمعت على حبهِ واعجبت بمواهبهِ واخلاقهِ فكان الصدر المقدم حيث نزل وأنى رحل. ولما شعر منذ زهاءِ اربعة اشهر باستحكام المرض منهُ وخشي عواقب الثورة الناشبة هناك عاد الى مسقط رأسهِ فعينتهُ الحكومة مديراً لدار الكتب العربية التي كان اسسها منذ اربعين سنة وجعلتهُ عضواً موظفاً في المجمع العلمي. وبينا النفوس فرحة بعودتهِ الى هذه العاصمة لينفعها بمعارفهِ الناجعة وتجاربهِ الناضجة وتنتظر تقرير حالة البلاد السياسية لتعود الامة فتفكر على ما يجب في التذرع باسباب نهوضها دعاه داعي المنون وهو بين قدماءِ تلامذتهِ ومريديهِ وبقايا اصحابهِ واخوانه فدفن بدموعهم في سفح قاسيون. وحق لهذا الجبل ان يفاخر بضم رفات علم من اعلام العرب والاسلام ومظهر من مظاهر العقل الكبير في مصر والشام

ظلُّ الاله الثاني (١)

ايها السادة والسيدات

ليست هذه زيارتي الاولى لمدينتكم العامرة لاني تشرفت وجئتها قبل الحرب بشهر لمثل هذا الاجتماع . وان لم يكن بينكم من يذكر الفتاة التي كانت يومذاك طفلة في عالم الفكر فانها هي ما زالت تذكر بارتياح ما لاقتهُ من انس اللطف وحسن الضيافة : وبعد اعوام ذاق فيها البشر ما ذاقوا من طعوم الاوجاع اراني سعيدة بالعودة ، واشكر لرئيس هذه الجمعية الهمام وحضرات اعضائها الافاضل جميعاً الدعوة التي مكنتني من المجيء لاجدد تذكاراتي عندكم واحييكم مرة اخرى

على ان في تحيتي الواحدة عناصر شتى : فيها السرور بمرأى الرجل والمراة متسابقين في اتيان المعروف . وفيها الثناء على نخوة القائمين بامر هذه الجمعية المحسنين كانوا او عاملين . وفيها الاغتباط بمشهد المصري والسوري متقاربين متآخين في هذا النادي . ولكن فيها خصوصاً عنصراً فتياً يتسرب بارزاً في نبرات الخطيب وسطور الكاتب لانهُ يظل جائلاً في القلوب : هذا العنصر الذي تعلمون هو عنصر الامل ، عنصر الحياة، المتولد من اليقظة المصرية الحديثة —

خطوات واسعات خطت مصر في هذا العام ، لاسيما في شأن المرأة . خطوات نرقبها بشغف وكبرياء نفوسنا المرتوية من مياه النيل المقدس ، المستنشقة هواءً ما فتئت تبعث بهِ آلهة الاهرام الى احفادها مصريي القرن العشرين . وبهذا الامل الذي يستجلي غد مصر عظيماً خالداً كامسها — بهذا الامل السعيد ارفع صوتي هاتفة : لتحي مصر الحديثة :

ايها السادة والسيدات

على مقربة من الحياة السياسية والاجتماعية حياة اكثر منهما اهمية لانهما بها يتكيفان وهي الاصل الذي ترتسم عليهِ جميع اعمال العمران . الاَّ انها تتناول الناس فرداً فرداً دون ان تشمل الاقوام دفعة واحدة وبلحظة واحدة كما تفعل الحماسة الوطنية والحميات القومية

---

(١) خطبة لحضرة الآنسة ماري زيادة القتها في جمعية الاتحاد والاحسان السورية بمدينة طنطا في ٢٩ فبراير ١٩٢٠

تلك هي الحياة الاقصادية ، وقوامها المال الذي يجعل الحقائق الخيالية حقائق محسوسة ويملأُ الفضاءَ بزخارف المدنية ومنافعها — وقد دعاهُ السيد المسيح الاله الثاني . وكما ان لله عز وعلا ضداً نسميهِ روح الظلام ، او الشيطان ، كذلك للاله الارضي ، الاله الثاني ، ظلٌّ يتهادى بين القصور والاكواخ على السواء ، ويهدد جميع الناس وهم ابداً منهُ هاربون ، ذاك هو شبح الحاجة ، شبح الفاقة

انهُ لشبح هائل نرى خيال قبضتهِ السوداء في صفحات التاريخ واليهِ ترجع اسباب الاضطرابات والقلاقل ، وكل ثورة شُبَّت في بلد فتركت صروحهُ انقاضاً. وليست الفواجع العامة الكبرى باكثر هولاً من الفواجع الفردية الصغرى. فقد عذَّب هذا الشبح اكثر ارباب الفكر والعلم والفنون ، وطالما ادمى اجنحة النبوغ بمخالبهِ وأوثقها بكتائفهِ ، وجعل صاحبها يعيش ضيق اليد مضعضع الشأن ويقضي جوعاً وغماً. وان لم يهبط الفقر بالجميع الى هذه الدركة المدلهمة فان الخوف منهُ يظل مستبدّاً بالناس استبداداً ويحتل حياتهم احتلالاً لا جلاءَ لهُ يرجى . فذلك الوجه العابس هو وجه من يحاول التوفيق بين دخلهِ وبين مقامهِ الاجتماعي او راحة من يحب. وتلك الجبهة المنحنية المقطبة هي جبهة الشاب الذي يكدُّ منذ اعوام ليخطو الى الامام ولكن المال حاجتهُ ليرسم على باب الدهر اشارة الظفر. وتلك العيون التي تطوف فيها خيالات القلق والهواجس انما هي عيون من عرف عزّ ثروتهُ الفكرية والشعورية من جهة وعوزهُ الذليل الى الدرهم من جهة اخرى. وكم من عمل ممقوت وامر مستهجن ، بل كم من مكر وخيانة ودهاء قد يأتيها المرء مرغماً وما كان سببها غير الحاجة او تلافي الوقوع بين مخالب الفقر والفاقة

فاذا كانت هذه حال المتوسط ، والغني احياناً ، فماذا نقول في اولئك الذين لا يطالبون الاَّ بحصتهم مما تنبتهُ الارض من غذاء وتدرهُ من شراب ؟ ماذا نقول في اولئك الذين اثقلتهم الحياة بحاجات الاحياء وبخلت عليهم بما يقوم بتلك الحاجات ويسد منها الفراغ ؟ ماذا نقول في عبيد الشقاء الذين لا يعلمون لماذا يحيون ولاي غاية يتألمون ؟

ما أطيب الالم ، ايها السادة والسيدات اذا كانت لهُ نتيجة مخصبة ! ما احب يد الشدة ، سواء أكانت يد حال او يد انسان ، التي تلطمنا لترشدنا وترقينا ! انما في الجهاد والالم قيمة الحياة ، والدموع الراسبة في أعماق القلب تذيب الغرور

والكبرياء وتأتينا بالخبرة العجيبة التي تدنينا من جوهر الاشياء وتخرج منا الحكماء والانبياء . فللحياة فضل علينا في كل جهاد تحرجنا اليهِ ، وكل حرمان نشعرنا بهِ ، ما دامت العقبات والصعاب واسطة لاتساع المدارك وانماء الملكات. فلتجيء الكوارث وتروح الآنَّ ونحن كذلك البحري الذي كافح الزوابع او كذلك الجندي الذي خاض معامع المنايا فخرج منها قويًّا ظافراً

بيد أن ازاء بركة الالم النافع والجهاد المثمر نوعاً آخر من الالم يقتل الذكاء ويكسر مفاصل الامل ويضع بين شفتي الحي طعم الاكفان والقبور . ذاك هو الالم العقيم الذي لا نتيجة لهُ كألم المعدمين العاجزين الذين لا يعولهم أحد ولا يحبهم في الدنيا مخلوق . حتى اذا ما تجمد ألمهم يأساً، وتحجر حقداً ، والتهب كرهاً انفجر بين الامم حمماً وبراكين تدعى الاشتراكية المتطرفة والبلشفية والفوضوية والعدمية . فيهبُّ دعاتها منادين بالاخاء وما كانوا متآخين بغير التمرد والجهل القتال والرغبة في سحق من هو فوقهم طمعاً في مالهِ . فيقلبون الحكومات ، ويقلقون الامان، ويلغون الانظمة ويسلبون الممتلكات وينصفون طائفة ليظلموا طوائف . كل ذلك باسم المساواة

وما هي النتيجة ياترى ؟

يوم تندكُّ عروش الافراد وتقوم على انقاضها ابنية الامم، يوم يتغلَّب العامل على صاحب رأس المال فيحرجهُ الى ما يشاء وما فيهِ يرغب ، يوم تتمزق انظمة الامس لتسن انظمة الغد ، اذن هل تتحول انظمة الطبيعة ؟ كلا ! اثنان في الكون لا بد منهما لحفظ موازنة الكون ، وان تغيرت منهما الاسماء والاجناس : كبير وصغير ، تابع ومتبوع ، سائد ومسود ، ظالم ومظلوم ، مفترس وفريسة . . هذا نظام الطبيعة العنيد ! ومن بين هؤلاءِ المتمردين الثائرين ستتكون نواة آسود شيئاً فشيئاً فيمتد تحتها الذل والتعاسة من جديد ، ويثور قوم آخرون، وتعود الفاجعة التاريخية مرة اخرى! يقولون ان الطبيعة ام، فيالها من ام عتية تسعد ولداً لتشقي اولاداً جاعلة حضنها الرحب ساحة لاشد المعارك وافظع الحروب !

ملايين الاعوام والوف الدهور مرت والطبيعة صماء لا تلين لصراخ الضعفاء وزفير المتوجعين ، ونبضات قلبها الكبير لا تضرب الاَّ على وفق نبضات القلوب المنتصرة ، وكأن اصواتها الكثيرة تهتف للصاعد سلم الغلبة وتشجعهُ فيدوس

على اعناق المندحرين متخذاً من جماجمهم مراقي يصل بها الى القمة المطلوبة . هذا هو ناموس تنازع البقاء وبقاء الاصلح : للقوي البقاء وللضعيف الفناء . ناموس جائرٌ الاَّ انهُ قاهر واحكامهُ ثابتة لا تتغير . ولكن ، ألا سُكبت عليك البركات يا قلوباً سمت بكرمها فأدركت ان فوق نظام الظلم نظام الرحمة ! وأُسبغت عليكِ النعم ، يا ايدي الشفقة والاحسان ، لانك تكوّنين الحلقة الانسانية الذهبية المتعالية على جور الطبيعة طموحاً الى عظمة الالوهية !

عرفتم ذلك ، ايها القائمون بأمر هذه الجمعية المباركة ، فقمتم تساعدون بقوة المال وتسعدون بسحر المحبة . ان لرجال طنطا اسماً عاطراً غير اننا نفاخر باهتمامهم بالخير واغاثة الملهوف اكثر من مفاخرتنا بما لديهم من ذكاء ووجاهة . وانتنَّ يا سيداتي نساء طنطا ، مشهورات عندنا بالجمال . غير ان عذوبة الحنو في المرأة اجمل من جمال الوجه وأبقى . وقيامها بالواجب نحو الآخرين أشرف من المطالبة بحقوقها . وحقكنَّ ان تفعلن الامرين معاً . طالبن بالعادل من تلك الحقوق فلا يبخل عليكن بها ، لان للرجل العريق في السيادة جميع صفات السيد من كرم شامل ، وعقل راجح ، وصدر رحب ، وعدل تام . ونجاح المرأة متوقف على مهارة الطلب وعلى كيفية التصرف في الحرية المعطاة لها قليلاً قليلاً

ولكن المطالبة بالحقوق وان حلالاً فهي دون اعمال البر قيمة ومقاماً . تلك انانية وهذه غيرية . تلك اخذ وهذه عطاء . والمعطي فوق الآخذ دواماً . تلك خصام وكفاح وهذه أجلى واجمل مظهر للمفاداة الاخوية . ولئن كان تنازع البقاء واسطة لارتقاء الحيوان ، كما قال هكسلي ، فان المفاداة والتعاون سبيل الارتقاء للانسان . هاكم النيل مادًّا احدى اياديه البيضاء في مدينتكم ليروي الاراضي العطشى فبدهي ان تتمثلوا بهِ باسطين يد الكرم الاخوي في مجاهل التعاسة . وفي وسط ما يملأ العالم اليوم من دماء ودمار وخوف وضغائن ، في وسط الصراع القائم بين الشعوب والشعوب ، وبين الامم والحكومات وبين الدرجات الاجتماعية على اختلافها ، في وسط هذه الزلازل المتكاثرة مهددة صرح المدنية بالخراب تظلُّ جمعيتكم هذه نوراً من الانوار الطاهرة المتألقة في سماء الحب الانساني منيرة ما حولها من ظلمات الفاقة والاحقاد والشقاء !

(ميّ)

اللقاح الواقي الخالي من الضرر

لا يخفى ان اللقاح او المصل الذي يستعمل الآن للوقاية من الامراض الوبائية والشفاء منها قد لا يقي منها ولا يشفي بل قد يحدث منهُ ضرر بدل النفع . وقد كتب الدكتور داود طمسن مدرس امراض الجهاز التناسلي في مستشفى لُك بلندن مقالة في مجلة التقدم العلمي شرح فيها اكتشافاً مهمًّا اكتشفهُ لجعل هذا اللقاح خالياً من كل ضرر فرأينا ان نلخصها فيما يلي قال : —

ان ما نعرفهُ من حيث الوقاية من المكروبات المرَضية آخذ في الزيادة ولو ببطءٍ حتى يظهر اننا دنونا من الزمن الذي نتغلَّب فيهِ بواسطة التلقيح على اكثر الامراض المعدية التي تصيب نوع الانسان وتميت العدد العديد منهُ

وقد ثبت الآن اننا اذا ادخلنا تحت جلد الانسان مقداراً من المكروبات الميتة حدث هناك التهاب وقتي في انسجة الجسم وجعلت هذه الانسجة تكوّن مادة تقاوم الفعل السامّ الذي في تلك المكروبات . وهذه المادة تبقى في الجسم زماناً طويلاً تدور في الدم وتقلل تعرُّضهُ لفعل تلك المكروبات الضار

والمكروبات التي تدخل الجسم سامَّةٌ كلها كثيراً او قليلاً . وسمها امَّا انهُ مادة تُفرَز منها او مادة تبقى فيها والثاني هو الاغلب ويسمَّى بالسم الداخلي . ومن رأي اكثر الباحثين ان المادة التي تقاوم فعل المكروب السام قلما تفعل بالسم الداخلي ولذلك فاللقاح الذي يستعمل للوقاية او للشفاء يجب ان ينزع منهُ ما فيهِ من السم الداخلي قبل استعمالهِ لانهُ ضار ولا فائدة منهُ في الوقاية من الامراض

ويطلق اسم اللقاح او المصل على مستحلب المكروبات الميتة . ويمكن عملهُ من كل مكروب اذا عُزِل وربي في مستنبت نقي . ولذلك كثرت انواع المصل المستعملة لمقاومة الامراض المعدية كالتيفويد وذات الرئة والانفلونزا والتهاب الشعب والزكام والالتهاب السحائي والسل وحمى النفاس والسيلان والبثرة الخبيثة وما اشبه

واللقاح الذي ظهرت فوائدهُ اكثر من غيرهِ هو لقاح الحمَّى التيفويدية فقد ثبت فيهِ ان الحقنة التي فيها ١٢٥٠ مليوناً من مكروبات التيفويد الميتة اذا أُتبعت بعد عشرة ايام بحقنة فيها ٢٥٠٠ مليون مكروب وقت مَن يلقَّح بها من الحمَّى التيفويدية سنة على الاقل

الاَّ ان الحقن التي تقي من امراض اخرى غير التيفويد كان النجاح فيها اقل من النجاح في التيفويد لان المكروبات التي تكون في اللقاح كثيرة المادة السامة فلا يسهل ادخال مقدار كبير منهُ في الحقنة . ومن المعقول انهُ اذا كثرت المكروبات الميتة في اللقاح كثر تكوين الجسم للمادة المقاومة لفعلها السام. ولكن اذا كان المكروب كثير السم خاف الطبيب من وضع مقدار كبير منهُ في الحقنة فيحقن بمقدار قليل فلا يُنتظر ان يفيد الفائدة المطلوبة

يفشو في الزنوج بجنوب افريقية نوع من ذات الرئة قتَّال جدًّا . فلما اريد تلقيحهم بلقاح يقي من المرض لم يُحسَب انهُ يحسن ان يلقَّح الواحد منهم بحقنة فيها اكثر من ٢٥٠ مليون مكروب كل مرة فلم تكن هذه الحقن كافية للوقاية . لكن احد الاطباء تجاسر ولقحهم بحقن في الواحدة منها ٥٠٠٠ مليون مكروب فاكثر من مكروبات ذات الرئة فاستأصل هذا الداء تماماً

ويظهر من ذلك ومن تجارب اخرى جُرِّبت في الحيوانات انهُ اذا اريد ان تكون الوقاية تامة فلا بدَّ من ان يكون التلقيح بمقدار كبير من اللقاح . ولذلك تدعو الحال الى ايجاد طريقة تزيل السم من اللقاح اذا كان مقدارهُ كبيراً حتى لا يصيب الملقَّح بهِ ضرر منهُ. وقد استُخدمت وسائل مختلفة لذلك فلم تفِ بالمراد . اما انا فقد وفقتُ الى اكتشاف طريقة كيماوية اراها وافية بالغرض. وقد استعملتها اولاً لمقاومة السيلان . فمنذ سنتين رأيت ان مكروب السيلان اذا رُبّي في مستنبت انفصلت اجزاؤهُ بعضها عن بعض ومات في بضعة ايام كأنهُ ينحلُّ من نفسهِ. وبعد ان مرَّت ثمانية اشهر وانا لم اهتدِ الى سبب ذلك وجدتُ ان السبب كيماوي . فما دامت المادة التي يربَّى فيها هذا المكروب حامضة لم يحدث فيهِ شيء من الانحلال فاذا صارت قلوية انحل بسرعة من نفسهِ. اي ان مكروب السيلان لا ينحل في الحوامض الخفيفة ولكنهُ ينحلُّ في القلويات الخفيفة . ثم وجدت ان فعل المكروبات الكيماوي لا يتغير بانحلالها في القلويات وانهُ اذا اضيف حامض الى محلول مكروبات السيلان القلوي رسب اكثر المحلول . واذا فُصل هذا الراسب عن السائل بقي سمُّهُ في السائل . واذا حُقن احد بهذا السائل ظهرت فيهِ كل الاعراض التي تحدث من التلقيح بمكروب السيلان نفسهِ لكن فعلهُ السمي يكون

اضعف من فعل مقدار يعادلهُ من المكروبات التي لم تعالج كيماويًّا كما تقدم. واذا كُرّر العمل ست مرات اي اذيبت مكروبات السيلان في مادة قلوية ورسبت بمادة حامضة ونزع الراسب من السائل ثم اذيب ثم رُسّب ست مرات متوالية كما تقدم زال الفعل السام منهُ وصار الفعل السام في الراسب مثل جزءٍ من مئة جزءٍ مما هو في مقدار يعادلهُ من المكروب الاصلي

والحامض البكريك من افضل الكواشف لمعرفة وجود الفعل السام في السائل فما دام هذا الفعل فيهِ فالحامض البكريك يجعل لونهُ لبنيًّا ومتى زال الفعل السام بقي صافيًا اذا اضيف اليهِ الحامض البكريك. ويمكن ان ينزع الفعل السام من المحلول باضافة مذوَّب ملح الطعام المركَّز

وقد استعملتُ طريقتي هذه لنزع الفعل السام من انواع كثيرة من المكروبات. فمكروب الانفلونزا ومكروب الالتهاب السحائي شديدا الذوبان في المواد القلوية وغيرهما لا يذوب الاَّ بصعوبة. وبعضها كمروب التيفويد يذوب في القلوي بسهولة ولكن يصعب ترسيبهُ بالحامض. ولكن اذا اضيف مذوب ملح الطعام الى الحامض سهل ترسيب المحلول ولكنهُ قد يرسب المادة السامة ايضاً ولذلك لا يضاف من الملح الاَّ نحو ٥ في المائة

وقد استعمل اللقاح للشفاء من الامراض كما استعمل للوقاية منها. ولكن الحقن التي تستعمل للشفاء يجب ان يكون مقدارها اقل من المقدار الذي يستعمل للوقاية واذا قلَّ المقدار قلَّت الفائدة واذا زاد لم يحتملهُ جسم المريض ولذلك يلجأ الى نزع الفعل السام منهُ كما تقدم قبل الحقن بهِ فيصير شافيًا واقيًا ولا يسمّ الجسم

وهاك جدول يبيّن ما يمكن استعمالهُ من الحقن التي نزع الفعل السام منها والتي لم ينزع منها وذلك بملايين المكروبات

نوع المكروب	الذي نزع سمهُ	الذي لم ينزع سمهُ
مكروب السيلان	٢٥٠٠ الى ١٠٠٠٠	٢٥ الى ١٠٠
مكروب الانفلونزا	٥٠٠ الى ١٠٠	٥٠ الى ١٠٠
مكروب ذات الرئة	٢٥٠٠ الى ١٠٠٠٠	٢٠٠ الى ٥٠٠
مكروبات النزلة	١٠٠٠ الى ٢٥٠٠	١٠٠ الى ٢٥٠

فما يمكن استعمالهُ من المكروبات التي نزع سمها يبلغ مئة ضعف المكروبات التي لم ينزع سمها الى عشرة اضعافها

وقد تبيَّن ان التلقيح بمكروبات النزلة (كوريزا) التي نزع سمها يفيد كثيراً في معالجة الزكام العادي والتهاب الشعب والانفلونزا وقايةً وشفاء

وقد وجدتُ في معالجة المصابين بالسيلان انهم يختلفون كثيراً في مقدار ما تولدهُ اجسامهم من المواد التي تقاوم فعل سم المكروبات. فالبعض تولّد اجسامهم عشرة مقادير من المناعة اذا حقنوا بحقنة فيها ٤٠ مليوناً من المكروبات التي نزع سمها والبعض لا تكوّن اجسامهم الاَّ اربعة مقادير من المناعة او خمسة ولو حقنوا بحقنة فيها ٨٠ مليوناً . فالذين تولد اجسامهم المقدار الاكبر من المناعة يكون شفاؤهم اسرع من شفاء الذين تولّد اجسامهم المقدار الاقل . والظاهر ان كثرة مقدار المناعة وقلتهُ غير مرتبطتين بقوة الجسم وضعفهِ . فاذا كشف لنا البحث عن سبب الاختلاف في الاجسام من هذا القبيل حتى صرنا نعرف الكمية التي يجب ان نحقن بها المصاب لكي تنتج الفائدة المطلوبة نكون قد ملكنا ناصية الامراض المعدية وليس ذلك بالامر المتعذر لان المواد التي يولّدها الجسم لمقاومة فعل المكروبات السمي يسهل اكتشافها في الدم ومعرفة مقدارها فيهِ. ولذلك لا يتعذر الوصول الى المقدار الكافي من اللقاح لكل مرض معدٍ

هذه خلاصة ما كتبهُ الدكتور طمسن في هذا الموضوع وهو من اهم المواضيع الطبية في هذا العصر . وحبذا لو جربت طريقتهُ مدرسة قصر العيني الطبية ومدرستا بيروت الطبيتان فان مجال البحث والفائدة كبير جداً . والتجارب في الحيوانات الصغيرة غير ممنوعة عندنا ولا مقيدة كما هي مقيدة في البلاد الانكليزية حيث اجرى الدكتور طمسن تجاربهُ ويظهر لنا انهُ سيكون من وراء هذه التجارب نفع عميم

الجمعيات الخيرية (١)

ايها السادة والسيدات

رئيس هذه الجمعية أشهر من ان يعرَّف . صفوهُ بما شئتم من حسن الخصال وكرم الخلال والادب الرائع فلا تبالغوا وانا اوافقكم على ذلك واطرب لهُ. ولكنهُ ارثوذكسي عنيد فانهُ رغماً عن كل عذر قدَّمتهُ وعطف التمستهُ كي يعفيني من هذا الموقف رحمة بكم من الجهة الواحدة وستراً لما بي من الجيّ والحصَر من الجهة الاخرى لم أستطع حملهُ على ذلك. وأبى الاَّ افتضاحي وان يحملكم وقر سماعي ولو وضعتم كل مساعيهِ في جعل هذه الحفلة مما تقرُّ بهِ خواطركم في الكفة الواحدة وسوءَ اختيارهِ لي للكلام في الكفة الاخرى لرجحت الثانية الاولى وشككتم مثلي في مقدرتهِ على نقد الامور

ولكني اعترف اني لست اقلَّ منهُ عناداً لان الدم الارثوذكسي يسري في عروقي كما يسري في عروقهِ فهو لم يكن ليقدر عليَّ لولم اكن أقدس اغراض هذه الجمعية وأقدر الشأن الذي لمثلها في خدمة الانسانية حق قدره . ولذلك لم يمكني الاباء عليهِ وفضلت ان أقف هذا الموقف مهما كان خطيراً وان يكون لي فخر خدمتها مهما كان عملي حقيراً وحسبي ما قيل

ما كلف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجود يدٌ الاَّ بما تجدُ

اقترح عليَّ رئيس هذه الجمعية أن اقول كلمة في الجمعيات الخيرية وقد عرفتم من مقدمتي اني لستُ بالخطيب ولا المتكلم . ولكن في مثل غرض هذه الجمعية كلمة العاجز الحصر كمقالة الخطيب اللسن وفلسا الارملة كملايين الغني. ولما عزمت على الكلام ذكرت الآية الكريمة :

« ومتى قدَّموكم الى المجامع والرؤساء والسلاطين فلا تهتموا كيف او بما تحتجون او بما تقولون » . وقول المتنبي :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

---

(١) خطبة لحضرة صاحب السعادة سعيد باشا شقير مدير حسابات السودان العام تلاها في حفلة جمعية القديس جاورجيوس الخيرية في ٢٩ فبراير ١٩٢٠

تاريخ الجمعيات الخيرية وكيف نشأت وارتقت في كل زمان ومكان شيء شرحهُ يطول فلا اكلفكم سماعهُ . ولكنها قديمة العهد جدًّا ولعلها وجدت على نوع ما وفي شكل من الاشكال منذ ظهر الانسان على الارض اي منذ مئتي الف سنة او اكثر على ما يقول علماء الجيولوجيا . فانهُ منذ وُجد أخذ يرى ان الاجتماع لازم لهُ للتعاون على المعاش واتقاءِ الوحوش الضارية التي كانت تشاطرهُ ارضهُ وتسطو عليهِ فكان اذا وجد نفسهُ في بقعة ما في جماعة قليلة حرص على افرادها فقدَّم للضعيف المساعدة اللازمة وأتاهُ بالاثمار والحبوب ليأكل والماء ليشرب واوراق الاشجار ليكتسي وآواهُ في كهفهِ حتى يشتد ويكون لهُ عونًا على دفع ما ينتابهُ من الشرور والاخطار . نعم كان يفعل ذلك حبًّا بمصلحتهِ اكثر منهُ بمصلحة الضعيف ولكنَّ عملهُ هذا يعدُّ ضربًا من ضروب الاحسان ونوعًا من اعمال الجمعيات الخيرية مهما كان الباعث عليهِ والداعي اليهِ

ولما لم يكن مرتقيًا رقيًا حقيقيًّا كان اذا نما عددهُ واشتدَّ ساعدهُ وأمنَ الاخطار ترك الضعيف وشأنهُ عليلاً كان ام عاجزاً ولم يهتمَّ بغير نفسهِ. ولعلهُ دام على ذلك اعصراً حتى ارتقى بعض افرادهِ وارتقى المجتمع الانساني بهم بعض الارتقاءِ فنمت او تولدت فيهِ عاطفة الحنان وانتقلت العناية بالفقير والعاجز والعليل الى رؤساءِ الاديان من كهنة هياكل وخدمة كنائس وشيوخ مساجد مهما كان الدين وسواء عبد الانسان ربًّا واحداً ام الف ربّ

فقد كان الإحسان قبل موسى وبعدهُ من اهمّ الفروض الدينية . ففي الديانة البوذية هو اشرف الفضائل وبدونهِ مهما عظم الانسان وتعددت حسناتهُ الاخرى لا يكون بوذيًا حقيقيًّا حتى أنهم جعلوا للإحسان الهًا لهُ الف يد وفي راحةِ كل يد عين دليلاً على علو شأنهِ وعظم مهمتهِ وكذلك فعل الصينيون واليابانيون. وكان للإحسان هذه المرتبة نفسها عند المصريين القدماءِ والبابليين والاشوريين فقد وجدوا في نواويس الجثث المحنطة منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح دروجاً من البردي كان المصريون القدماء يضعونها مع الجثث لتستعين بها النفس في دفاعها لدى الديّان اوسيرس عندما تبعث وتلبس الجسد. ويتضح من هذه الدروع ان الاحسان كان من اهم الاعمال التي يجب ان تقدّمها النفس في يوم الحساب لتنال السعادة الابدية وهذا بعض ما جاءَ فيها « انني طاهرة يا الهي فقد

كنت اقدم خبزاً للجائع وماءً للعطشان وكساءً للعريان »

هذا فضلاً عن المنزلة التي وضعت الاحسان فيها الديانات الثلاث الكبرى الموسوية والمسيحية والمحمدية فكان خدمة الدين ولا يزالون كذلك اشبه بجمعية خيرية يطعمون الفقير ويكسون العريان ويؤاسون العليل

فلما صعد العمران بعض الدرجات في سلّم الارتقاء اخذ الانسان يشعر انهُ مقصّر تقصيراً فاضحاً في هذا السبيل وان ما يفعلهُ خدَمة الاديان ليس الاَّ النزر اليسير مما يجب عملهُ نحو العاجز والفقير والعليل . فشرع ينشيء الجمعيات الخيرية المستقلة في كل بلادٍ ارتقى فيها ولاسيما منذ فجر القرن السادس عشر . ويطول بي الكلام اذا اخذت اعدّدها واعدد اغراضها في البلاد الغربية والشرقية سواء كانت مؤلفة من رهبان وراهبات وقفوا حياتهم للبرّ وعمل الخير وانقطعوا عن ملذات هذا العالم من اجل ذلك كما هو الحال في فرنسا او من محسنين تبرعوا باموالهم وارسلوا البعثات المختلفة الى الاماكن القاصية للتعليم وعمل الخير كما هو الحال في اميركا وانكلترا وغيرهما. او من افاضل وفواضل مثل اعضاء هذه الجمعية يضحون بجانب كبير من اوقاتهم لاستنداء الاكفّ ومؤاساة المرضى وتعليم الفقراء واطعامهم. فان القصد من هذه الكلمة ليس تاريخ الجمعيات الخيرية على انواعها بل بيان ضرورتها لترقية العمران وشأن الانسان ومنزلتها بالنسبة الى الجمعيات الاخرى علمية كانت او صناعية او زراعية والمجالِ الواسع الذي لا يزال امام محبي الانسانية في هذا السبيل

ولست آتياً بشيءٍ جديد عنها لا تعلمونهُ ولكني مردّد على مسامعكم ما هو معروف لديكم لعلّ في الاعادة افادة لاسيما وقد ظهر في هذه الحرب ان مدنيات بعض الامم طلاء خفيف خارجي وان بعض الانسان لا يزال وحشاً ضارياً بل اشد من الوحش قسوة واكثر شراهة رغماً عن تأنقهِ في المآكل والملبس وبناء القصور وزخرفة الدور ورقيّه في الصناعة والزراعة والعلم والطب وأن المبادىء القويمة والفضائل السامية والاخلاق الكريمة التي بدونها لا يرتقي العمران ولا يمتاز الانسان عن الحيوان الامتياز الحقيقي والتي يسعى بعض الكرام لنشرها بالوعظ رة والارشاد اخرى وبواسطة الجمعيات الخيرية واقامة المستشفيات وبناء المدارس وتشييد الملاجيء وغيرها من الوسائل العملية لا تزال مجهولة عند البعض او لم تتأصل فيهم وبعيدة عن البعض الآخر بُعد الارض عن السماء

ان الباحث في تاريخ العمران يرى ان ارتقاءَهُ لم يكن مضطرداً ولا عاماً وهذا ما حمل بعض المفكرين على مخالفة الفيلسوف سبنسر واتباعهِ في أن ناموس الارتقاء التدريجي لا ينطبق على المجتمع الانساني كما ينطبق على سائر انواع الاحياء وحجتهم في ذلك ما يُرى من جمود بعض الامم كجمود الصين وغيرها وتأخر بعضها بعد ان علا كعبها في المدنية وبلغت من العلم والصناعة والتجارة منزلة رفيعة كتأخر مصر وبابل اسبق امم الارض الى التمدن والفينيقيين والحثيين والفرس والهنود واليونان والرومان الذين لم يبقَ من عظمة اكثرهم سوى اطلال هياكلهم ومدافن ملوكهم وعظمائهم . وسواء صح زعم هؤلاء او اولئك فلا شك ان التقدم في العلم وحدهُ لا يضمن ترقية العمران ترقية مضطردة وانهُ ان لم تنتشر المبادىء الادبية والاخلاق الراقية والفضائل السامية وتتأصل في الامم جميعها او معظمها بقي العمران جامداً او منحطاً على درجات تختلف باختلاف نموّ هذه المبادىء ومبلغ الفضائل في كل امة

لقد بلغ العلم منذ صدر القرن التاسع عشر حتى الآن ولاسيما في الاربعين سنة الاخيرة مبلغاً لم يصل اليهِ في زمن من الازمان السالفة وأفاد العمران فائدة لا تكاد تقبل الزيادة فمكتشفات باستور ولستر وكوخ ورو وغيرهم في علم المكروبات والاهتداء الى العلاجات الناجعة في الجدري والدفثيريا والتتانوس والحمى الصفراء والملاريا والالتهاب السحائي والتيفوئيد وغيرها واكتشاف اشعة رنتجن وخواص الراديوم والطرق الحديثة لاستئصال الاعضاء المؤوفة في جسم الانسان وفي جراحة القلب والشرايين رفعت الطب الى مستوى لم يكن يحلم بهِ احد في القرن الثامن عشر وما تقدمهُ من القرون. ومثل ذلك يقال في الاكتشافات الحديثة في البخار والكهربائية والكيمياء مما رقى الزراعة والصناعة والتجارة الى درجة ليس وراءها زيادة لمستزيد . فطار الانسان في الهواء وغاص تحت الماء وقرَّب الابعاد ودك الاطواد وأنار الظلام وبدَّد الاوهام وطمح الى مخاطبة الكواكب في السماء حتى اصبحت اعمالهُ اشبه بالعجائب الالهية منها بالامور الطبيعية فالتلغراف السلكي واللاسلكي والتلفون والسكك الحديدية والسفن البخارية والسيارات والطيارات والمراكب الهوائية والغواصات والفونغراف والسيماتوغراف وغيرها بعض اعمالهِ . وكلها لو لم نكن قد الفناها وعرفنا اسرارها لعددناها آيات سماوية فوق الطاقة البشرية وعبدناها كما عبد اسلافنا الحجارة

والارياح والشمس والقمر والنجوم والبحار والنار وكل شيء توهموا فيهِ القوة او الشدة او العظمة او الجمال . وحسب المرء ان يقابل اي قرية باحدى العواصم ليرى كيف ارتقى العمران في مئة السنة الاخيرة والى أي درجة وصل الانسان من التنعم والترفه ولين العيش حتى غرّهُ السَّرابِ وظن الاكثرون ان هذا الترقي رقيٌّ حقيقي وان عمران هذه الايام اثبت قاعدةً وأقوى اركاناً من عمران الفينيقيين واليونان والرومان ومَن سبقهم وان الانسان أخذ يسير سيراً مضطرداً في بعض البلدان الى الغاية القصوى التي تضعهُ في مستواهُ الحقيقي وتميزهُ عن الحيوان الاعجم

ولكن القوا اليَّ اسماعكم لاقرأ لكم بعض اعمالهِ نقلاً عن جرائد العاصمة :

« هجم احد النشالين على سيدة في يدها كيس من الذهب في الشارع العباسي فاختطفهُ واختطف الحلق من اذنيها بعد ان شرمها ولاذ بالفرار »

جاءَ من السويس ان فرنسيسكو ديبونو طعن يعقوب نجرينو عدة طعنات بسكين وُجد معهُ فنقل الجريح الى المستشفى حيث توفي على أثر وصولهِ ولم تعلم الاسباب بعد »

جاءَ من امبابه انهُ قد وجدت جثة رجل مقطوعة الرأس والساق بفرع رشيد بالقناطر والتحقيق جار »

« دخل شريران في زفتى على امرأة وابنها وهما نائمان فذبحاهما وتمكن حضرة النشيط محمد بك عطيه مأمور مركز زفتى من القبض على الجانيين فاعترفا بالجناية »

« ورد من شبراخيت ان أخوين من اهالي الاصلاب قتلا والدتهما خنقاً ودفناها سرًّا وشهدت عليهما اختهما

« دخل أحد الاشقياء منزل علي عبد الحميد حسن بالاسكندرية في اثناء غيابه فقتل امرأتهُ وولدهُ وأخذ ما على المرأة من الحلى ولما لم يستطع نزع خاتمين من اصبعي يدها قطعهما لانهما وجدا قرب الجثة »

وليست هذه الحوادث بالنادر الذي لا يبنى عليهِ قياس او مما يحصل مرة او مرتين في العام ولكنها تقع يومياً في ارقى عواصم الارض والمدن العظيمة في كل بلاد وحبذا لو علقت جرائدنا عليها تعليقاً يهيج العواطف ويثير النخوة في رؤوس المفكرين من الناس والمسئولين عن نظام الاجتماع فانها لو فعلت لهبوا الى الاصلاح وفعلوا اضعاف ما يفعلون الآن من تخفيف ويلات البشرية

والغريب ان هذه الفواجع تقع في زمن الراحة والسلم والاجتماع الانساني غير مدفوع بتيار من الاضطراب او متأثر بعوامل فوق العادة تفقدهُ التوازن بل ساكن مطمئن همهُ ترقية شأنهِ والتفنن في ما يزيد في تنعمهِ وترفههِ من ملاذ هذه الدنيا ووسائل الراحة فيها. ولذلك فهي على جسامتها ليست منتهى ما يرتكبهُ الانسان من الموبقات

فاذا شئتم معرفة ما هو اشدّ منها هو·لا فاقرأوا بل فكّروا لانكم جميعاً قد قرأتم او سمعتم بما فعلهُ الالمان في هـذه الحرب في البلجيك وشمالي فرنسا والبلغاريون في البلاد التي اجتاحوها كم نهبوا واحرقوا من المنازل وقتلوا من النساء والاطفال وارتكبوا من الفظائع وصنوف التعذيب والتخريب — كانوا يبقرون الحبالى ويقتلون الاولاد اشنع القتلات امام عيون امهاتهم ثم يذبحون هؤلاءِ ويقطّعون اوصالهن . واقرأوا كذلك ما اصاب الأرمن في بلادهم — قالت جريدة البتي بارسيان التي تصدر في باريس ما ترجمتهُ :

« لقد اظهر التحقيق عن مذابح الارمن ان عدد الذين قتلوا من رجال ونساء واطفال يبلغ مليوناً ونصف مليون وان المسئولين عن هذه الملحمة الهائلة هم الالمان الذين اقرّوها ونظموا اسيرها لكي لا ينجو الاَّ طويل العمر من اولئك الارمن المساكين »

وقد ذكرت تلك الجريدة ان الفظائع التي ارتكبت في الفين من النساء لما ترتعد لهُ الفرائص ويندى لهُ وجه الانسانية خجلاً ويندر ان يكون لهُ مضارع عند اشدّ الاقوام توحشاً . صبوا عليهن زيت البترول واحرقوهن ثم نخلوا رماد جثثهن بمناخل ليستخرجوا الجواهر التي كانوا يعتقدون انهنّ ابتلعنها

وذكر بعض الذين نجوا انهم كانوا يفعلون بالرجال ما لا يقل عن ذلك فظاعة كانوا يستأصلون عيون البعض ويفقأون عيون الآخرين وكانوا يزجون المئة والمئتين معاً في اقبية متينة الابواب محكمة القفل ويتركونهم حتى يموتوا جوعاً واختناقاً . ويطول بي الكلام اذا زدت هذه الصور شرحاً او اكثرت منها. ولولا حرمة السيدات والخوف من ازدياد انفعالهن لذكرت ايضاً بعض ما كان يجري في سوريا والاناضول وما فعلهُ الروس بعضهم ببعض وباسرى الاتراك

وليت كتاب هذه الحوادث قد طوي وامرها قد انتهى فان الاخبار قد جاءت في هذا الشهر بل في هذا الاسبوع منبئة بالمذابح التي تجددت في ارمينيا

والفظائع التي ترتكب فيها فان تسعة عشر الفاً من سكان مرعش قتلوا ذبحاً . والذين فروا ويبلغ عددهم اربعة آلاف مات منهم الفان برداً ونجا الآخرون وكلهم وصلوا الى مرسين في حالة تدمي الافئدة وتذيب الاكباد . ومثل ذلك يقال فيما يفعلهُ البلشفيون في مقاوميهم من ابناء جنسهم في روسيا . وكل ما يفعلهُ ساسة العالم المتمدن ازاء هذه الفظائع انهم يجتمعون ويتباحثون ثم تنفضُّ اجتماعاتهم على لا شيء او على ان يحتجوا او على ترك الحبل للقتلة على الغارب

واذا قلنا ان المدنية ليست راقية بين الروس والاتراك والبلغاريين فما عذر الالمان وقد كان يظن انهم من اعلى الامم كعباً في المدنية ومن ارقاهم في سلم العمران وان العلم بلغ عندهم مبلغاً لم يصل اليهِ عند سواهم

نعم بلغ العلم عندهم شأواً بعيداً ولكنهُ لم يرقِّ العمران الترقية الحقيقية اذ لم يرافقهُ الرقيّ في المبادىء الادبية والفضائل البشرية وعواطف الاخاء والاحسان التي تسعى في تعميمها الجمعيات الخيرية — فكانت النتيجة انهم استخدموا احدث المكتشفات العلمية واقوى المركبات الكيمية لابادة الناس بالقتل والاحراق والتسمم والاختناق وللتخريب والتدمير وارجاع العمران القهقرى مئات من السنين . فانهم قتلوا من الروس والبلجيكيين والفرنساويين والانكليز والاميركان وغيرهم ما لا يقل عن خمسة ملايين نفس واخربوا في ولايات فرنسا فقط مايتين وخمسين الف منزل الى اسسها وعطلوا مايتين وخمسين الفاً غيرها. فمدينة رنس مثلاً لم يبقَ من منازلها الاربعة عشر الفاً سوى الفين فضلاً عن الغابات التي احرقوها والمناجم التي اغرقوها والطرق والجسور التي نسفوها

وقد اتلفوا وخرّبوا ودمروا اكثر من ذلك في البلجيك وغيرها من البلاد التي امكنهم ايصال اذاهم اليها فان مدينة اوستند الزهرة الزاهرة في روضة البلجيك لم يبقَ فيها حجر على حجر وكان شعارهم اينما حلوا التدمير والتخريب والارهاب والتعذيب

افهذا هو الانسان الذي يفخر بانهُ خلق على صورة الله وان الله نفخ فيهِ من روحهِ . وهل هذا انسان القرن العشرين الذي نشأ على اختبار من سبقهُ منذ الوف من السنين وباهى بآدابهِ واخلاقهِ ومدنيتهِ امم العصور السالفة

لعمري ان عرب الجاهلية الذين كانوا يدفنون البنات احياء مخافة الحاجة والعار حتى نزلت الآية (ولا تقتلوا اولادكم خشية املاقٍ نحن نرزقهم واياكم) وهنود اميركا

الذين تُضرب الامثال بقسوتهم فيهم من عواطف الانسانية ومعناها اكثر مما في بعض اهل هذا الزمان الذين كانوا يجوّعون الاسرى عمداً حتى يموتوا ويرمون القنابل من الجوّ على الشعوب الآمنة فيقتلون النساء والاولاد ويغرّقون بالطوربيد والديناميت المرضى والممرضات في مراكب الاستشفاء ويفعلون من ضروب التعذيب والارهاب ما يندى لهُ وجه تيمورلنك حياءً ويأنف نيرون ان ينسب اليهِ

واني لست ارمي الكلام جزافاً في ما اقول فقد ذكر العلاَّمة مرجن الاميركي عن بعض هنود اميركا انهم اهل ولاء ووفاء ولو تحت اشدّ الاخطار وان ربوعهم ليست ربوع التوحش والهمجية كما يظنها البعض بل فيهم من رائع الفضائل ولطف الشمائل ما ليس عند كثيرين من الاوربيين والاميركيين حتى ان اهل الولايات المتحدة أخذوا كثيراً من نظامهم السياسي عن الهنود لان حكومتهم شوروية كحكومة اميركا. وذكر المستر ويلد الانجليزي انهُ عاش في شرق السودان زمناً طويلاً فرأى بين قبائل الهدندوة من حسن الضيافة وكرم الاخلاق والآداب الرائعة ما قل نظيرهُ ولم يعرف ان احداً منهم مات جوعاً مدة الثلاث السنوات التي قضاها بينهم وخبرهم بها رغماً عن القحل الذي كان يصيب البلاد لقلة المطر احياناً ، وفي لندن ونيويورك وبرلين وڤينا قلما يمضي اسبوع لا يموت فيهِ بعض الفقراء جوعاً

اما عرب الجاهلية فان ما وصل الينا من آثارهم واشعارهم يدل على انهم كانوا في الذروة العليا من كرم الاخلاق والجود والسخاء

وها كم بعض اقوالهم في هذا المعنى : — قال رجل من بني قريع :

وانك لا تدري اذا جاءَ سائل   أأنت بما تعطيهِ ام هو اسعد

وقال عروة بن الورد :

دعيني اطوّف في البلاد لعلَّني   افيد غنىً فيهِ لذي الحق مَحْمَلُ
اليس عظيماً ان تلمَّ ملمة   وليس علينا في الحقوق معوّلُ
فان نحن لم نملك دفاعاً بحادثٍ   تلمُّ بهِ الايام فالموتُ اجملُ

وقال حاتم الطائي وهو غاية في الكرم والايثار على النفس

اذا كنتَ ربًّا للقلوص فلا تدع   رَفيقك يمشي خلفها غير راكبِ
انخها فاردفهُ فان حملتكا   فذاك وان كان العقاب فعاقب

ستأتي البقية

مرض النوم

بحث تاريخي على معرفة العرب لهُ قبل الافرنج بخمسة قرون

ليس لي من غرض في تدوين هذا المبحث سوى اضافة بيان جديد الى تاريخ هذا المرض الفتّاك وليس لي من فضل في تسطير هذه الكلمة - ان كان هناك فضل - سوى ما توخيتهِ من لفت الانظار الى عبارة وان كانت غير مجهولة ولكن لم يتنبه اليها احد من الباحثين حتى الآن خصوصاً من الذين تولوا كتابة تاريخ هذا المرض

تكلم ابن خلدون (وعنهُ نقل القلقشندي (١) بتصرف) على الامير جاطه ملك غانه وقال انهُ اصيب بعلة النوم وان هذه العلة اودت بحياتهِ . هذه العبارة قد وردت في الصفحة ٢٠٢ من الجزء الخامس من تاريخ ابن خلدون المطبوع في بولاق سنة ١٢٨٤ وفي الصفحة ٢٦٧ من الجزء الاول من تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب الذي طبعهُ باللغة العربية في مدينة الجزائر سنة ١٢٦٣ (١٨٤٧) البارون دوسلان(٢) . وقد وردت في ترجمة البارون المذكور لهذا التاريخ (ج ٢ ص ١١٥) ولا انتقد على ترجمة ذلك المستشرق العليم سوى انهُ عبر عن « علة النوم » بانها « السبات » . ولا حاجة بي الى الاشارة الى ما بين اللفظين من الفرق الكبير في المعنى والمرمى . ولذلك رأيت من الواجب تنقيح الترجمة في النص الفرنسي الذي كتبتهُ عن مبحثي هذا

والآن انقل ما رواهُ ابن خلدون عن « القاضي الثقة ابي عبدالله محمد بن واسول من اهل سجلماسه وكان اوطن بارض كوكو من بلادهم واستعملوهُ في خطة القضاء بها » لقيه بهنين سنة ٧٧٦ فاخبره عن ملوكهم بالكثير مما كتبهُ في تاريخهِ

قال ابن خلدون : انهُ اخبرهُ بان السلطان جاطه « اصابتهُ علة النوم وهو مرض كثيراً ما يطرق اهل ذلك الاقليم وخصوصاً الرؤساء منهم يعتادهُ غشى عامة ازمانهِ حتى يكاد ان لا يفيق ولا يستيقظ الاَّ في القليل من اوقاتهِ ويزمن بصاحبهِ

---

(١) صبح الاعشى (٢) والحق يقال ان هذه الطبعة متقدمة على طبعة بولاق بنحو عشرين سنة

ويتصل سقمهُ الى ان يهلك قال فازمنت هذه العلة بجاطة هذا مدة عامين اثنين وهلك سنة خمس وسبعين بعد السبعمائة » اي في سنة ١٣٥٤ ميلادية (١)

هذا ولقد اهتمت المقامات العلمية بديار اوربا بهذا المرض الذي عدهُ القوم من الامراض الحديثة بناء على مشاهدات سياحيهم وروادهم في اواسط افريقية وفي بعض بقاع الهند. وقد اخذ الافرنج العدة لمحاربة هذا الداء الفتاك واستئصال شأفتهِ ولذلك طرقت « الجمعية الملوكية » بلوندره باب الحكومة المصرية فجادت عليها منذ سنة ١٩٠٥ باعانة سنوية قدرها الف جنيه تستعين بها هذه الجمعية بما اخذتهُ على نفسها من درس مرض النوم ومكافحتهِ في افريقا الوسطى وافريقا الشرقية

يصح لنا حينئذٍ ان نقول ان كتاب العرب قد اشاروا الى هذا الداء الوبيل ووصفوهُ قبل الآن بخمسة قرون وثلث قرن. وان ذلك كان بالقاهرة على عهد المماليك ويصح لنا ان نضيف على ذلك ان عاصمة وادي النيل في العهد الحاضر لم تتنزل عن مكانتها في تلك الايام الخوالى بل كان لها شأن رنان في مكافحة هذه العلة الوبيلة فقد بلغ ما دفعتهُ الخزينة المصرية لهذا الغرض الى الآن ١٤٠٠٠ جنيه

ولا اختم هذا البحث دون التعرض الى مسألة لغوية وذلك ان جميع الكلمات المبنية على صيغة فعال تدل على حالة مرضية تستنبط المعنى الذي تدل عليهِ من مادة الكلمة وجرثومتها. فاذا نظرنا الى العلة التي نحن بصددها نجد في اللغة العربية كلمة « نوام » ذكرها اللغويون حتى القرن السادس للهجرة فقالوا « اخذهُ نوام بالضم اذا جعل النوم يعتريهِ » هذا هو تعريف الجوهري وعليهِ جرى صاحب القاموس من بعده. غير ان ابن منظور الذي اتم تأليف « لسان العرب » في القاهرة سنة ٦٨٩ للهجرة (١٢٩٠ م) اي قبل موت السلطان جاطه باكثر من ستين سنة قد ذكر لهذه الكلمة « نوام » معنى جديداً وتفسيراً لم يصل الينا عمن تقدمهُ من اللغويين المعروفين لنا. فقد قال: « اخذهُ نوام وهو مثل السبات يكون من داء بهِ ». ثم جاءَ السيد مرتضى الزبيدي الذي اتم شرح « القاموس » بالقاهرة في سنة ١١٨٨ للهجرة (١٧٧٤ م) فنقل هذا التفسير بنصهِ وفصهِ دون

---

(١) (المقتطف) ذكرنا ذلك بالاسهاب منذ ١٥ سنة في مقتطف مارس سنة ١٩٠٥

زيادة ولا تعليق فقال: « ويقال فلان (يأخذهُ نوام كغراب) اي (يعتريهِ النوم) كا في الصحاح ويقال هو مثل السبات يكون من داء بهِ » اه

ليت شعري من اين تلقط صاحب لسان العرب هذا البيان الجديد لتلك اللفظة لغوية ؟ هل اعتمد على رجل من اللغويين المتقدمين ام على كتاب من كتب لطب ونحن نجهل هذا وذاك ؟ والاَّ فهل هو يشير الى حالة مرضية وصفها لهُ احد لحجاج الوافدين على القاهرة من اواسط افريقية ؟

(احمد زكي)

اللوترية في انكلترا

(٢)

رأي رجال المال

بعد ما فرغ وزير المالية من كلامهِ على هذا المشروع كما لخصناهُ في الجزء لاول من هذه المقالة عقبهُ السر ادورد كوتس فقال :

حادثت بعض كبار رجال المال في الستي حيّ البورصة والسوق عن هذا لوضوع فقال لي احدهم انهُ ما فتئ منذ عهد بعيد معارضاً في ادخال اللوترية الى لاعمال المالية اما اليوم فلو كان عضواً في البرلمان لاشار بادخالها وصوت مع لصوتين لها. ومعظم الاسباب التي قدمها لتأييد رأيهِ مالية اكثر منها ادبية . انتم كلكم من رجال الدنيا (فضحك البعض وصاح البعض الآخر كلاّ) ففطن الخطيب وقال بل انتم من رجال الدنيا ونسائها (١) (ضحك وهتاف) وانتم خير حكم فيما نوحي بهِ اليكم ضمائركم عن مسئلة الصدفة والمقامرة . ولست اسمي هذا المشروع قماراً والاَّ فكلُّ رجل من رجال الاعمال يرى مقامراً مجازفاً طول عمرهِ . وانما عمرت هذه البلاد بالمجازفة والاقدام على جلائل الاعمال. وامام الاغنياء مشروعات جمة يستثمرون بها اموالهم اما الفقراء فلا يجدون امامهم سوى مشروعات قليلة

---

(١) رجال الدنيا عندهم اصطلاح يراد به انهم رجال خبروا الدنيا وتمرّسوا باحوالها . وسبب لضحك والاعتراض ان في مجلس النواب سيدة عضواً فيه وهي اللادي استور . فلما قال الخطيب انتم كلكم من رجال الدنيا قال احد الاعضاء كلا ففطن الخطيب الى غرضه واصلح خطاءه

لا تغرُّ احداً . والمشروع المطروح لدينا من المشروعات التي تغري الفقير باستثمار ما عندهُ فيها . وقد يؤثر ذلك في اصحاب مشروعات المراهنة وفي مقدار المال المودع صناديق التوفير في البوستة . ولكن هل من العدل والانصاف ان الذين يودعون صناديق البوستة دراهمهم يأخذون ½ ٢ في المئة فائدة في حين ان غيرهم يأخذون ½ ٥ في المئة

وزير المالية — هم يعلمون انهم لو وضعوا اموالهم في غير صناديق البوستة لاخذوا ٥ في المئة ولكنهم يفضلون شروط البوستة

الخطيب — ان خادماتي لا يفهمن ذلك . هذا واذا نظرنا الى موقف البلاد المالي في الوقت الحاضر وعلمنا ان البنوك التي هي مصدر كل توسع تجاري لا تستطيع ان تقدم فيما بعد اموالاً طائلة الى الخزينة فيما يرجع ادركنا حينئذٍ ان امام البلاد مسئلة جديدة صعبة المراس قد تخلق لنا المشاكل الجمة في المستقبل . ولذلك اطلب من وزير المالية ان يقدم على مشروعات جديدة للحصول على المال . وقد يكون في عزمهِ عقد قرض معفًى من الضرائب او عقد قرض مع كبار رجال المال بفائدة قليلة . ولكن ارى في ضائقة مثل هذه ان يجمع لجنة من مديري البنوك ويشاورهم في المسئلة

وتلاهُ السر فردريك بنبري من الاعضاء النائبين عن مدينة لندن فقال : لقد صوَّر المصورون حالة ديننا بصورة قاتمة السواد واشاروا لتغيير الوانها واصلاحها باصدار قرض مؤيد باللوترية . وقدر اعظم انصار اللوترية ان معظم ما يجمع من المال بواسطتها يبلغ ٢٠٠ مليون جنيه . فما الفائدة من محاولة اصدار قرض هذا قدرهُ في حين اننا في حاجة الى قرض قدرهُ ٣٣٠٠ مليون . وما الفائدة من سحب المال من مكان يستثمر بهِ وايداعهِ مكاناً آخر . لا فائدة من ذلك البتة . ثم انهُ لا صحة لما قيل من ان اصحاب رؤوس المال الصغرى يرسلون اموالهم الى فرنسا فان العمَّال وصغار اصحاب الدكاكين لا يفعلون شيئاً من ذلك. وقد سألت التيمس معارضي هذا المشروع ماذا تقترحون للحصول على المال . اما انا فاقترح ان يصدر وزير المالية قرضاً فائدتهُ ٤ في المئة وسعرهُ ٨٠ يوفى بالسحب السنوي مدة ٤٠ سنة بسعرهِ الاسمي ويبدأُ اول سحب في السنة القادمة . فقرض مثل

هذا يشترك فيهِ الغنيُّ والفقير على السواءِ . وعندي ان اضطرار انكلترا الى اصدار قرض باللوترية يفهم منهُ ان الثقة المالية بها هبطت هبوطاً عظيماً وهذه الفكرة تقضي عليها قضاءً مبرماً

وعقبهُ آخر فقال . ان وصف وزير المالية لهذا المشروع بقولهِ عنهُ انهُ يحطُّ من قدر حياتنا الوطنية جعلني اشعر بانهُ يشبّه الامة البريطانية بالفريسيين فانهم كانوا اذا قصدوا الهيكل للصلاة قرعوا صدورهم بايديهم وشكروا الله لانهم ليسوا مثل سائر الناس الأئمة الفجّار (ضحك) . ولو كان الوزير يروح ويجيءُ بيننا كلَّ يوم لعلم اننا في مقدمة البلدان المقامرة في العالم . وما من بلاد تنفق على سباق الخيل ما ننفقهُ نحن واساس سباق الخيل الرهان كما تعلمون . وهذا الرهان شرٌّ عظيم متغلغل في كلّ طبقة من طبقات هيئتنا الاجتماعية وهو ولعب الورق منتشران كلّ الانتشار وكان الغرض الاول منهما تسلية ملك مجنون . والعمّال الذين يتراهنون لا يفعلون ذلك تلبية لنقيصة غريزية فيهم بل ليتنفسوا الصعداءَ مما في معيشتهم من اسباب الضجر والسآمة الشديدة . ونحن بتأييدنا لمشروع القرض باللوترية انما اردنا تحويل ما يفيض من مال الامة عن هذه المجازفات الى السبيل الامين الذي يستطيعون فيهِ توفير اموالهم . والواجب ان لا يهتمّ العامل باقراض دراهمهِ على فائدة يأخذها فان هذه الطريقة في نظري ادنى من المراهنة وهي اختراع ساميٌّ خسيس . وما المال الاّ امر يفوق الطبيعة ومعظم الخلق لم يبلغ هذا الحد . واهل اسكتلندا (والخطيب اسكتلندي) اعظم الناس ادراكاً لقيمة المال لانهم مما وراءَ الطبيعة (ضحك) . وقد جاءَتني كتب اعتراض على هذا المشروع من رجال الدين الذين هم خارج الكنيسة الانجليكانية كما جاءَت سائر اعضاءِ المجلس . وهؤلاءِ الرجال ينظرون الى هذه الامور نظر جدّ ويفكرون فيها كثيراً ولكن تفكيرهم فيها مقلوب على الدوام (ضحك) . اما انا فاميل الى تلبية الغريزة التي في فطرة الانسان (اي غريزة المقامرة) وبهذه الطريقة تفيد البلاد بالحصول على كثير من المال الضائع

وخطب اللورد هيوسسل فقال ما فحواهُ : مدار هذا المشروع على اقتراض الحكومة للمال بدعوة الناس الى الاكتتاب فيهِ وتزيينهِ بما ينطبق على غريزتي

استثمار المال والمقامرة اللتين في طبائعهم . والناس بوصف كونهم مستثمرين للمال ليسوا مقامرين وبوصف كونهم مقامرين ليسوا مستثمرين . فاذا طلب من الناس تأييد هذا المشروع بتزيين ما فيهِ من معنى القمار كان ذلك كارثة ادبية هائلة. واذا طلب منهم تأييدهُ بتزيين ما فيهِ من معنى الاستثمار كان ذلك فشلاً مالياً هائلاً . فان غريزة القمار هي غريزة الاغتناء وجمع المال بالاعتماد على البخت لا غريزة خسارة المال . وليست خسارة المال او الخوف من خسارتهِ مفسدة للاخلاق (ضحك) وانما المفسد لها شهوة الحصول على المال اعتماداً على الصدفة والاتفاق مجرداً . فان هذا يقوي شهوة الطمع . والذين يستثمرون اموالهم باللوترية هم الذين يريدون الاغتناء بالصدفة. ومن خصائص هذه الغريزة اي غريزة الطمع ان صاحبها يعيد الكرة اثر الكرة وهكذا يتربى فيهِ روح المقامرة شيئاً فشيئاً ويدنو من وهدتهِ خطوة فخطوة

وليس ثمت سوى طريق واحد الى اصلاح موقف البلاد المالي وهو طريق الاقتصاد في النفقة . وهذا لا يوصل اليهِ بتزيين القمار بل بالتعليم والقدوة — بالعلم والعمل

وخطب آخر فقال ان الكتب انهالت عليهِ من ناخبيهِ وجميعهم ينكرون هذا المشروع ويقولون انهُ خطاءٌ من الوجهة الادبية . وليس بين الخطباء خطيب قال ان جمعية من جمعيات النساء وافقت عليهِ . فان الزوجات يعلمن ان الدراهم التي ينفقها ازواجهنَّ عليهِ تؤخذ من الدراهم التي تنفق على المنزل لشراء حاجياتهِ (استحسان من اللادي استور)

رأي حزب العمال

ووقف بعدهُ المستر توماس احد زعماء حزب العمال فاعترف بضرورة الاعتماد على طرق مالية جديدة وفتح ابواب جديدة للايراد ولكنهُ اعرب عن اعتقادهِ بان اللوترية تنتهي بالفشل وبانها شرُّ الوسائل التي يمكن الجري عليها. وفسَّر ذلك بقولهِ ان مئات الالوف من العمال يستثمرون دراهمهم الآن في شركات بناء البيوت على امل انهم يصبحون يوماً ما اصحاب البيوت التي يسكنونها الآن . وعليهِ فان الذين يحولونهم ويحولون اموالهم عن هذا المجرى الى سواهُ يتحملون

مسئولية خطيرة الشأن (اصوات استحسان) . والسبب الذي يجعل انكلترا مركز مالية العالم هو ان الثقة المالية بها اعظم مما هي بغيرها من البلاد . فماذا يقال جواباً لملايين النفوس التي بذلت في الحرب الماضية وللاموال الكثيرة التي انفقت بلا حساب لاغراض ادبية اذا انحطت هذه البلاد العظيمة الى الدرجة التي تدفع عندها نفقات الحرب بالمقامرة (اصوات استحسان) . فلا شيء افسد لآداب هذه الامة وادعى الى تقويض اسسها من هذه الطريقة . فالمشروع المعروض على المجلس مشروع ذو خطر ومناقض لمصالح البلاد وخيرها. وجمهور الرجال والنساء عندنا معارضون لهُ

وقال المستر هندرسن من زعماء العمال ايضاً ان العمل بهذا المشروع يفضي في آخر الامر الى الاضرار بسمعة البلاد المالية

وقال السر هيوم وليامز من الاتحاديين ان قرض اللوترية هو السبيل الوحيد الذي تستطيع بهِ وزارة المالية الحصول على المال من اكياس الذين لم يتعودوا التوفير وحملهم على جعل اموالهم رهن البلاد وهو مما يجب على كل احد حملهُ

وقال السر روبرت كندرسلي انهُ يتعذر الحصول على المقدار الكبير من المال الضائع سدًى بين ايدي الذين ينفقونهُ على غير هدى الاَّ اذا زينت لهم طريقة لاستثمارهِ واقتنعوا بنفعها. وقد اختلف في مقدار ذلك المال الضائع فقيل انهُ ٨٠ مليون جنيه واوصلهُ البعض الى ١٠٠ مليون . اما انا فارى ان المبدأ الذي ينطوي عليهِ قرض اللوترية لا يختلف عن مبدإِ قرض النصر المشهور وانما الفرق في الدرجة والكمية لا في الكيفية . فلا يصحُّ والحالة هذه بعد اصدار قرض النصر ان يقال لنا ان قرض اللوترية جديد وفاسد ادبيًّا . وقد انكروا ما فيهِ من الصدفة ونحن لا نستطيع في معيشتنا الفرار من الصدفة اكثر مما نستطيع الفرار من الاكل او النوم . فالصدفة تتبعنا من الاول الى الآخر منذ كنا تلاميذ في المدرسة نلقي قرعة بين فرقتي اللاعبين منّا لنعين ايتهما تكون البادئة باللعب الى ان صرنا اعضاء في هذا المجلس نطرح المسائل على الوزراء لعلّ الصدفة تمكننا من الحصول على بعض المعلومات منهم (ضحك عالٍ). وكلمتي الاخيرة الى الحكومة هي « جرّبي »

وختم المناقشة المستر بونارلو زعيم المجلس بخطبة طويلة نلخص منها ما يلي :

لست أقول ان اصدار قرض اللوترية امر شرير في حدّ نفسهِ . ولو كان هذا هو رأيي الشخصي او رأي الحكومة ما كنا تركنا المسئلة تصل المجلس ليقترع عليها بحرية . ولكن اللوترية تضرُّ بقرض النصر وبالاموال التي تودع صناديق البوستة لان العمال يسحبون دراهمهم منها للاشتراك في قرض اللوترية طمعاً في الجائزة . ثم انكر رأي القائلين ان قرض النصر بني على اللوترية وارتأى ان اعظم اعتراض يعترض بهِ على قرض اللوترية هو ان العمال الصغار الذين يشتركون فيهِ لا يستطيعون ان يسحبوا اموالهم منهُ عند حاجتهم اليها كما يفعلون بالدراهم التي يوفرونها في صناديق البوستة

ودفع قول القائلين ان اللوترية تنفي سهم قمار شرّ منها اي المراهنة في سباق الخيل . قال وعندي انها تفعل عكس ما يظنون فاننا اذا جرأنا الناس على اللوترية بما فيها من صدفة ربح الجائزة ايستعبد بعد ما يتعلمون هذا الدرس ويذوقون طعم الربح انهم يخترعون طرقاً اخرى للربح اساسها الصدفة والاتفاق

وتكلم عن المشروع من الوجهة المالية فقال ان المال الذي يمكن جمعهُ بهِ لا يعدّ شيئاً مذكوراً في جنب الدين المطلوب منهم ولا يجعل فرقاً عظيماً في الحالة المالية الحاضرة . قال « وحالما تقتنع البلاد بان زمان عقد القروض والسلف مضى وانقضى فلا تبقى هناك صعوبة عظيمة جدًّا في تغطية الدين السائر وحينئذٍ نجد فرصة للعود الى مركز مالي صحيح لا قبل ذلك . ثم ان الذين يحسبون هذه المسئلة دينية خطأ ينقمون منا الموافقة على هذا المشروع ويمتنعون عن مساعدتنا عند اقدامنا على عقد القروض فيكون قرض اللوترية والحالة هذه سبباً لخسارتنا ماليًّا لا لربحنا

على انهُ بعد هذا كلهِ اذا شاء المجلس انفاذ المشروع واعرب عن مشيئتهِ هذه بطريقة صريحة لا مجال فيها للابهام فلا يمنعهُ من انفاذهِ كون وزير المالية مقاوماً لهُ ومعارضاً فيهِ

ثم اخذت اصوات المجلس فصوّت للمشروع ٨٤ عضواً وضدهُ ٢٧٦ فكانت الاغلبية ضدهُ ١٩٢ فرفض

العطاس

وآراء الاقدمين والمحدثين فيهِ

بقلم الدكتور ولسن ووليس الاميركي

اهتم الناس منذ القدم بالعطاس واعاروهُ شأناً لم يعيروه غيرهُ من حركات الجسم غير الاختيارية فاذا عطس عاطس حياهُ الواقفون معهُ بشكل من اشكال التحية او فاه هو بعبارة معينة جرت مجرى الامثال . قال العالم هوليداي « من اغرب المشاهد ان نجد الجسم وهو في حالتهِ الطبيعية خاضع لمشيئة صاحبهِ يتصرف عند العطاس تصرف المستقل الخارج على مشيئتهِ .ولقد ظنَّ اختلاج العين وطنين الاذن امرين عجيبين لا لسبب سوى ان حركتهما اضطرارية (١) والانسان في حال بداوتهِ يعتبر بكل شيءٍ يجتذب انتباههُ وخصوصاً الاشياءَ التي ليس لها سبب ظاهر »

وقبل تعليل مذاهب الناس في العطاس نأتي هنا على ذكر بعض العادات التي لها علاقة بتلك المذاهب عند الاقدمين والمحدثين

اليونان

كان اليونانيون القدماءُ يحيون العاطس بما ترجمتهُ « عش وليحفظك زفس » وقال ارسطو ما معناهُ « ان العطاس اعتراف شريف بمركز التعقل والعبقرية » وكانوا اذا عطس عريس في حضرتهم يحيونهُ بقولهم « لتعطس عليك بعض الارواح الصالحة خيراً وبركة ».وقالت بنلوبي « ان ابني عطس بركة على كلماتي كلها »

رومية

ذكر بلينيوس وغيرهُ ان الرومان كانوا يحيون العاطس بقولهم Salve اي كن معافى . وقال فلوطرخس ان العطاس امام معركة بحرية بشير بالنصر . وكانوا يعتقدون انهُ اذا طلعت الشعرى اليمانية صمد لها الوحش الذي كان المصريون يسمونهُ اوريكس (نوع من حمار الوحش او اليحمور) ووقف قبالتها ينظر اليها ثم عطس كانهُ يعبدها

---

(١) المقتطف كان العرب يحسبون اختلاج العين فالاً بلقاء الحبيب . قال الشاعر

ظلت تبشرني عيني اذا اختلجت بان اراك وقد كنا على حذر

فارس

جاءَ في مصحف زردشت ان الصلاة تستحبُّ بعد العطاس . وانهُ يجب عند العطاس ترديد بعض الآيات المقدسة لان في الجسم شيطاناً . قالوا وفي الجسم نار او ميل يسمونهُ غريزة العطاس وهذه الغريزة تشهر حرباً على الشيطان وفعل العطاس دليل على انتصارها وطرد الشيطان من الجسم. وان من يسمع عطاساً يصلي صلاة العاطس نفسهِ

الهند

كان الهنود القدماءُ يذهبون الى انهُ اذا عطس احد دلَّ ذلك على ان روحاً يدخل الانف او يخرج منهُ فيقول السامع « عش » فيجيبهُ العاطس بقوله « وانت كذلك » . او يقول السامع « ليباركك الله » او « الحمد لله » وهذه العبارة الاخيرة اقتبسوها من المسلمين . واذا بدأ احد عملهُ ثم سمع عاطساً يعطس وجب عليهِ ان يبدأ عملهُ ثانية . فاذا عطس مثلاً وهو يصلي وجب ان يعيد الصلاة من اولها والاَّ اغضبت صلاتهُ الاله . ومن هذا القبيل ما جاءَ في مثل انكليزي « ان العطاس في الصلاة شرك الشيطان »

الصين

اذا عطس الصيني قال « لا ادري من يذكرني » (١) وقد يقول سامعهُ « ليسعدك الحظ »

اليهود

في بعض تقاليد اليهود ان الناس قبل عهد يعقوب لم يكن احدهم يعطس الاَّ مرة واحدة ثم يموت . وجرى بعد ذلك تبديل فصار الناس يموتون بالامراض الطبيعية بدل العطاس . ولتذكُّر هذا التبديل الحسن كان كل امير منهم يأمر رعاياهُ بان يقول قولة خير بعد العطاس . فاذا عطس عاطس قالوا لهُ « طوبيم حاييم » اي ليعطك الله حياة . وكان العاطس يردد على الغالب الآية الواردة في بعض سفر التكوين وهي « انتظرت خلاصك يارب » فيباركهُ السامعون فيردُّ البركة عليهم . والمرجح ان العبرانيين كانوا يحسبون العطاس علامة على مجيء الارواح

---

(١) المقتطف وفي الشام يقولون مثل هذا القول عند طنين الاذن

الذريرة او رواحها بدليل ما ورد في سفر الملوك الثاني من انهُ لما اعاد اليشع روح ابن المرأة الشونمية الى صدرهِ عطس الغلام سبعاً ثم فتح عينيهِ

المسيحية

كان العاطس في العهود المسيحية الاولى « يصلّب » على وجههِ ثم اوصى رجال الدين الناس فيما بعد بان لا يعيروا العطاس شأناً ما. وحسب بعضهم العطاس ضرباً من الفالج الزائل. وفي اوائل القرن السادس اوصى اسقف نوايون الفرنسوي رعيتهُ بان لا يعبأوا بالعطاس والفال ولكنهم لم يعملوا بوصيتهِ ولاسيما انهُ جاءَ في تقليد ان البابا غريغوريوس امر بان يبارك العاطس لان طاعوناً من الطواعين كان يتقدمهُ العطاس ويعقبهُ الموت

ولا يزال المسيحيون يحترمون العطاس ويباركون العاطس الى هذا اليوم. فالايطاليون يحيون العاطس بلفظة Felicita تقابلها لفظة Sit salutiferum عند الرومان. والفرنسويون بلفظة Bonne santé والالمان بلفظة "Prosit" او "Gesundheit" واذا عطس الماني وهو يلبس حذاءَهُ عدَّ ذلك شؤماً عليهِ. واذا عطس وهو يقصُّ على احد قصة عدَّ ذلك علامة صدق روايتهِ. وفي استونيا اذا عطست امرأتان حبليان معاً كان ذلك علامة على انهما ستلدان بنتين. واذا عطس زوجاهما معاً كان ذلك علامة انهما ستلدان ابنين

واذا عطس احد في شمال انكلترا دعوا لهُ بقولهم "Bless the bairn" اي «ليبارك الولد» وعندهم زجل هذا ترجمتهُ: «اذا عطست يوم الاثنين فذلك خطر عليك. ومن يعطس يوم الثلاثاء فسيقبّل غريباً. ويوم الاربعاء فسيأتيهِ كتاب. ويوم الخميس فسيأتيهِ خير. ويوم الجمعة فسيلاقيهِ غمٌّ. ويوم السبت فيرى حبيبتهُ غداً». وليس فيهِ ذكر للعطاس يوم الاحد

ويعتقد اهل جزيرة جامايكا انهُ اذا حكَّ احداً انفهُ ثم عطس فانهُ يُغتاب. ويعتقد الزنوج في ولاية كارولينا الشمالية انهُ اذا عطس احد وهو يأكل فسيأتيهِ لقيُ صديق

ويقول المالطيون للعاطس اقيڤا او صحّة

ويقول اهل انكلترا الاصلية للعاطس « ليحفظ الله دوق ارجيل » على انهُ

اذا قيل هذا القول لاسكتلندي حسبهُ اهانة لهُ. وفي الاقوال الانكليزية القديمة « اقرب ما نكون من الموت ونحن عاطسون » مما يدلُّ على انهم كانوا يعتقدون بان العطاس نذير بخروج الروح من الجسم

وفي ارلندا يحيون العاطس بقولهم « بركة الله والعذراءِ المقدسة عليك »

ويقول اهل بوهيميا اذا سمعت عطسة ولم ترَ العاطس فقل « اصلح الله امرك »

وجاءَ في آداب السلوك الفرنسوية القديمة « اذا عطس سيدك فلا تقل « ليباركك الله يا سيدي » بل ضع قبعتك عن راسك وانحن لهُ وقل هذا القول في سرّك »

واذا عطس احد في بنغال رأيت الحاضرين ينحنون كل الانحناءِ فراراً من سوءِ البخت . وفي البرتوغال يحيون العاطس برفع القبعة عن الراس . وكان الامبراطور ترا جنّس الروماني لا يحفل بشيءٍ من آداب السلوك ولكنهُ كان شديد العناية بتحية العاطس التحية اللازمة وبتحية الناس لهُ اذا عطس . ويحكى عن امبراطور المانيا السابق انهُ عطس مرة فلم يبدِ الحاضرون شيئاً فقال « عطست ولم يقل احد Gesundheit »(١)

وفي بلاد انام اذا عطس طفل عمرهُ اقلّ من سنة اوجس الحاضرون خيفة من شرّ ياتيهم فصاحوا « كوم كا » اي « رز سمك » وهذا الدعاءُ هو الذي يستعملونهُ خصيصاً للاولاد اذا أُغمي عليهم او على اثر نوبة عصبية تنتابهم وهم نيام فيجفلون منها

واذا عطس جندي من الماوري (سكان نيوزيلندا الاصليين) وهو يأكل كان ذلك علامة على انهُ سيقتل في معركة ويطبخ الاعداءُ لحمهُ ويأكلونهُ

واذا عطس زعيم احدى قبائل الكنغو صفق الحاضرون بايديهم وصاحوا « ليعش الملك معافى » وكلما زاد عطسهُ طال عمرهُ لان العطسة في عرفهم فيض من الحياة زائد عن القدر اللازم . واهل سيام والصين يتيمّنون بالعطاس

وكان اليونان القدماءُ يتيمنون بالعطاس الآتي من اليمين ويتشاءَمون بالعطاس الآتي من اليسار . حكي ان كسينفون القائد المشهور كان يخطب في عشرة آلاف

---

(١) المقتطف — وهذا يشبه ما يقال في الشام من انه اذا شرب شيخ كبير كاس ماء في مجلس ونسي الجلاس ان يقولوا له هنيئاً ذكرهم ما نسوا بقوله « شرب عبدكم » فيجيبونه على الفور هنيئا

من رجالهِ حتى اذا قال « وهناك اسباب كثيرة تحدونا على رجاء الحفظ والبقاء » واذا باحد الجنود يعطس عن اليمين فقال الخطيب « ايها الجنود الرفاق ان جوبتر عند ذكر حفظكم وبقائكم ارسل الينا هذا الفأل الطيب لنتيمن بهِ »

وجاء في اوديسي هوميروس قولهُ : وبينما الملكة تتكلم اذا بتلماكوس قد عطس عطاساً عالياً بلغ صداهُ آخر الجمع فابتسمت وتفاءلت خيراً ودعت قائلة ليسقط الاشرار ولتأخذهم صيحة القضاء الذي لا يرحم »

ومن اقوال ارسطو ان العطاس من الظهر الى نصف الليل يمن ومن نصف الليل الى الظهر شؤم » . وروى القديس اوستين ان القدماء كانوا اذا عطسوا وهم يلبسون احذيتهم صباحاً عادوا الى فرشهم متشائمين

ولا يزال اهل انكلترا حتى الآن يتفاءلون خيراً بترديد العطاس . ومن اقوالهم « عطستان او ثلاث صحة وعافية . وعطسة واحدة نذير شؤم » . ومن امثالهم في القرن السابع عشر « عطس المريض ثلاثاً اخرجوهُ من المستشفى » معتقدين بان العطاس ثلاث مرات دليل على استعادة الصحة والقوة . وكان الطبيب الانكليزي السر توماس برون يحسب العطاس انذاراً حسناً على الغالب ويصف للمرضى الذين دخلوا دور النزع دواءً يعطسون منهُ بحجة انهُ « اذا تنبهت حواسهم وعطسوا عادت اليهم آمال الحياة واخذوا علامة السلامة » . واذا لم يستطع المريض العطس كان مرضهُ قتالاً . ومن اقوال الطبيب المذكور ان العطاس شؤم اذا كان العاطس فتاةً غير متزوجة او ارملة او امرأة عاقراً او زوجة اسكاف او امرأة مصابة بالكولرا

ومن اعتقادات الاوربيين في هذا الزمان انهُ اذا اوشك احد ان يعطس ثم لم يعطس دلَّ ذلك على انهُ سيخسر شيئاً ثميناً . واذا عطس عطسة اطارت زراً من ازرار قميصهِ او صدرتهِ او غيرهما من ملابسهِ فان الغنى سيأتيهِ على عجل . ويتفاءلون خيراً من العطاس وقت القراءة او المجادلة او النوم او الاكل او الزرع . ومن خرافاتهم ايضاً انهُ اذا كان تاجران يتحدثان وعطسا معاً فان تجارتهما رابحة . وان الجندي الذي يعطس لذكر معركة قادمة يكون من المنتصرين فيها . ومن يعطس عطستين كلَّ ليلة مدة ثلاث ليالٍ فبشرهُ بالموت العاجل . ومن يعطس بين الساعة

الحادية عشر والثانية عشرة نهاراً فسينزل عليهِ ضيف . ومن يعطس عند نهوضهِ من سريرهِ صباحاً فليعد اليـهِ وليضطجع ثلاث ساعات والاَّ ملكتهُ زوجتهُ اسبوعاً . ومن يعطس قبل طعام الصباح فستأتيهِ هدية الاَّ اذا كان اليوم يوم احد. ومن يعطس واللقمة في فيهِ فسينعى اليهِ صديق لهُ

وقد علل ارسطو الاحترام الذي يعامل بهِ العاطس بقولهِ ان الانسان الاول رأى ان الرأس هو مركز النفس الاعظم وانهُ عضو مدرك يحكم الجسم كلهُ ويمدهُ بالحياة والحركة فاحترم العطاس الصادر منهُ لانهُ اظهر علامات الحياة . وقد أمن السر توماس برون على تعليل ارسطو واقرهُ

ويعلل ما نسب الناس قديماً وحديثاً من الرجاء والخوف الى العطاس بان الانف والفم مدخلا النَّفَس ومخرجاها لانهما مدخلا النَّفَس ومخرجاهُ والنَّفْس والنَّفَس عندهم شيءٌ واحد او كالشيء الواحد وكانوا يقولون ايضاً ان نَفَس الانف هو حياة الانسان وان قوتهُ الحيوية مرتبطة بنفسهِ ولذلك جرت عادتهم ان يطبقوا احياناً انف المحتضر وفاهُ منعاً لروحهِ من الخروج حتى ان من المتوحشين من يغطي انفهُ وفاهُ في اثناء نومهِ لئلا تفرَّ روحهُ منهما وهو نائم لا يدري. وكان اليونان والرومان في ابَّان حضارتهم يكبون على المحتضر ويتنفسون من نَفَسهِ لكي يأخذوا بعض روحهِ الى صدورهم . انتهى

العرب والاسلام

(المقتطف . كان العرب يشمتون العاطس او يسمتونهُ اي يدعون لهُ ان لا يكون في حال يشمت بهِ فيها . وفي حديث زواج فاطمة لعليّ فاتاهما فدعا لهما وشمت عليهما ثم خرج . وفي حديث ان النبي قال لرجل عطس عندهُ يرحمك الله ثم عطس اخرى فقال الرجل مزكوم)

هذا وليس العطاس في عرف الطبّ الصحيح سوى حركة ينقبض بها الحجاب الحاجز فجأة ويدفع النفس من الرئتين بشدة لطرد دقائق الغبار او غيره من المواد المهيجة التي علقت بمجاري النفس العليا او الاغشية المخاطية التي في الانف . وقد ينتاب الصحيح او يكون نذيراً بالزكام او الانفلونزا او الحصبة او بعض الحميات

رحلة الى الشام

(١)

في يوم ٣١ يوليو سنة ١٩١٩ عبرنا قنال السويس عند القنطرة على جسر منصوب على الترعة. والقنطرة طريق القوافل منذ القدم بين الشام وسائر الشرق الادنى وبين مصر. والمسافة بين العريش والقنطرة على الجمال خمسة ايام فقطعناها بسكة الحديد في بضع ساعات. وهذا الطريق عينهُ هو الذي سار عليهِ اخوة يوسف الصديق عند هبوطهم مصر وسار عليهِ ايضاً سيدنا المسيح يوم كان طفلاً وهرب بهِ يوسف ومريم البتول الى مصر من وجه هيرودس

والشام ومصر توأمان لا يستغني الواحد منهما عن الآخر ولغتهما واحدة وعاداتهما واحدة تقريباً. وقد كانت الصحراء بينهما حاجزاً يحول دون تمازجهما وتواصلهما برًّا فجاءت سكة الحديد مزيلة لذلك الحاجز مقربة للمسافة المترامية بينهما برًّا. وينبئنا التاريخ بان ملكاً واحداً حكم القطرين في ازمنة مختلفة

وقد نفع الانكليز في حروبهم شدة عنايتهم بالنقل والمواصلات فانها عندهم منظمة احسن تنظيم. ومن اعظم ما فعلوا في هذه الحرب في هذا الميدان جرّ مياه النيل من افريقية الى اسيا محافظة على صحة جنودهم وراحتها في هذه الصحراء المقفرة. اما الاتراك فساقوا جنودهم فيها واهملوا امر راحتهم وتوفير الطعام لهم فكانت العاقبة ما رأينا

بلغنا العريش في اليوم الثاني من رحلتنا فشاهدنا نخيلها المشهور وكان يوم وصولنا اليها سوق الجمعة واكثر ما يباع فيها الجمال التي يرسلها التجار الى مصر. وسكانها اشبه بسكان فلسطين منهم بالمصريين وهم يتاجرون مع عرب الصحراء ومع مصر والشام

ومن العريش سرنا الى رفح وهي آخر حدود مصر الآن كما هو معروف وكانت الحد الفاصل بين مصر وسورية من قديم الزمان. ففي اخبار فتح عمرو بن العاص لمصر سنة ١٨ هـ (٦٣٩ م) ان عمر بن الخطاب ارسل اليهِ كتاباً وهو في الطريق ففضهُ عمرو وهو في العريش وتلاهُ على اصحابهِ وقد جاء فيهِ: اما بعد

فان ادركك كتابي هذا وانت لم تدخل مصر فارجع عنها . واما اذا ادركك وقد دخلتها او شيئاً من ارضها فامضِ واعلم انني ممدّك . فالتفت عمرو الى من حوله وقال اين نحن يا قوم . فقالوا في العريش . قال وهل هي من ارض مصر او الشام فقالوا من مصر

وبعد رفح بلغنا خان يونس وفي جواره اراض زراعية خصبة فيها بساتين الصبّير (التين بشوكه) والتين والخضر . والظاهر ان المطر قليل فيها . ويقول الصهيونيون انها من بلاد فلسطين وقد اشترى بعضهم بقعاً في هذه الارض الرملية وهي تصلح لزرع الشعير والبطيخ وغرس الاشجار

ومن خان يونس انتقلنا الى بلح وغزة هاشم. وسهول غزة واسعة يصح فيها زرع الشعير والكتان لان تربتها رملية ناعمة . وقد مررنا حول غزة بكروم التين والعنب والزيتون . وكثير من منازلها مبنيٌّ بالطوب الاخضر وسكانها مسلمون ومسيحيون وهم متفقون كل الاتفاق

والى الشمال والشرق من غزة سهول خصيبة كسهول مصر لكن ينقصها ماء النيل ويا ما ينقصها . على انهُ يمكن حفر آبار لارواءِ هذه السهول الواسعة . ولا تعلم تماماً نفقات الوقود لرفع المياه من هذه الآبار

وعند الظهيرة مرَّ القطار الذي يقلُّنا في وادي جنين وفيهِ بساتين البرتقال الشهيرة . ثم بلغنا مزرعة صهيونية اسمها شيبوت وفيها تكثر حقول اللوز الحلو . وبعدها وصلنا اللدّ وهي مكان اتصال سكتي الحديد اي الذاهبة الى يافا وحيفا والذاهبة الى القدس . وفي جوار اللدّ بساتين من الزيتون قطع الترك اكثرها ايام الحرب واستعملوا حطبها وقوداً لسكة الحديد الحربية. وهذه المنطقة اجود اراضي فلسطين في اعتقادي ولكن ماءَها قليل اذ لا وجود للانهار فيها ومطرها نادر ولعله اقلُّ في هذا الزمان مما كان في ايام الآباءِ الاولين بدليل ان الحنطة التي كانت تزرع فيها في عهد ابراهيم واسحق ويعقوب كانت تكفي سكانها وكان السكان حينئذٍ اكثر منهم الآن . والمرجح ان هذه الاراضي كانت مكسوة بالغابات فقطعت ايام الحروب الرومانية ولذلك باتت الامطار اليوم اقلّ مما كانت قبلاً

والى الشرق من سهول اللدّ جبال اليهودية المشهورة التي امتنع فيها المكابيون

في حروبهم مع الرومان . ولا يمكن ارواء هـذه السهول الاَّ اذا وجد الوقود اللازم لرفع المياه من الآبار بنفقة قليلة ولـكن لا يعلم هل تزيد حاصلات هذه الارض كثيراً عن النفقة اللازمة لحفر هـذه الآبار. وقد مررنا بمنازل عديدة للصهونيين فاذا بالترك قد نزعوا سقوفها وسائر ما فيها من الخشب وتركوها خراباً . ولكن العمران اخذ يتجدد بعد الفتح الاخير والمزارع اخذت تزرع

وبعد مغادرتنا اللدّ بلغنا طول كرم التي اتخذها الترك معسكراً عامًّا لهم وفيها انكسروا ثم تقهقروا تاركين ذخائرهم ولم يقاوموا بعد المعركة التي جرت فيها سوى مقاومة قليلة

ثم وصلنا الى زمارين وهي مستعمرة صهيونية بنيت بمال البارون هرش تحيط بها اراضٍ غاية في الخصب . وهي واقعة جنوبي جبل الـكرمل المشهور بحوادثهِ الدينية القديمة. وينبت في هذا الجبل كثير من النباتات العطرية البرية. وقد استقطر الرهبان الـكرمليون المنقطعون في دير هذا الجبل نوعاً من العطر منذ القديم كان يسمى الـكرمليت ويباع في جميع انحاء العالم . وفي جوار الجبل تنمو نبات المحمودية وهو نبات يخرج منهُ عصير لبنيّ مسهل يجمعهُ الاهالي ويجففونهُ اقراصاً ويرسلونهُ الى اوربا حيث يدخل في بعض المستحضرات الطبية. وفي اقراص الشكولاتا والبسكويت المسهلة التي تعطى عادة مسهلاً للاولاد شيء من هذا العقّار . ويسميهِ الافرنج سكمونيا

وحدث في اواخر القرن الماضي ان لورنس ألفنت الـكاتب الانكليزي الشهير وزوجتهُ ألِس بنيا لهما قصراً على الجبل كتبا فيهِ كتبهما المشهورة عند عارفي اللغة الانكليزية . وكان قصرهما مضيفاً لـكل من زار فلسطين من اهل اوربا واميركا . وتوفيت ألس الفنت في حيفا شهيدة المروءة اذ كانت تمرّض فقيراً مصاباً بالحمى التيفويدية فاعديت وقبرها هناك معروف. وقبل الفراغ من الـكلام عن حيفا لا نرى بأساً من الاشارة الى الـكولونل الهندي الذي قتلهُ الاتراك في موقعة طول كرم. فمن كان يخطر على بالهِ ان الهنود يأتون من اقاصي الهند ليساعدوا على انقاذ الاراضي المقدسة من ايدي الترك

الدكتور
يوسف غبريل

اثبات الروح بالمباحث النفسية

خاتمة

١٣

امتاز الانسان عن جميع الاحياء التي تشاطرهُ الوجود على هذه الارض ببعد مدى النظر العقلي ونمو قوتي الاستدلال والاستقراء وعدم وقوفهِ من هذه الخصائص عند حد . وقد كافأت هذه القوى فيهِ تجردهُ عن الاسلحة الجثمانية فحفظ وجودهُ بين الاحياءِ التي تنازعهُ البقاء واستظهر عليها بسعة حيلتهِ وقدرتهِ على الابتكار . وسخرها لحاجاتهِ فوجد فراغاً من الوقت للتأمل في نفسهِ ليعرف مصدرها ومصيرها وفي الكائنات ليدرك مساتيرها وفي الطبيعة ليقف على القوى او القوة العظمى المدبرة لها

لم يكن الانسان بالكائن الذي ينفعل لقوى الكون صاغراً لها ويخضع لفواعلهِ لاهياً عنها فاخذ يفكر اولاً في علل العاديات التي تصيبهُ في ذاتهِ واهلهِ وجماعتهِ وبيئتهِ فتخيل ان الوجود عامر بعوامل عاقلة محجوبة عن بصرهِ وان لها عواطف واهواء من نوع عواطفهِ واهوائهِ. فشرع يتقرب اليها بالعبودية ويتزلف لها بالقرابين الحيوانية والبشرية جلباً لمراضيها وتجنباً لمساخطها فكان هذا اصلاً لتدينهِ ولبحثهِ فيما وراء المادة المحسوسة

اطَّرد الانسان طريقهُ في الترقي فكان كلما ازداد علمهُ بالكون والكائنات ونما ادراكهُ للعلل والمعلولات ورقَّى شعورهُ بالحقوق والواجبات لطَّف من عقائدهِ بتلك العوامل وهذَّب من مدركاتها في صفاتها حتى وصل الى توحيدها وتنزيهها وجدَّ في التوفيق بين ما يهديهِ اليهِ العلم الحسي وبين ما يوجبهُ عليهِ النظر العقلي حتى كان لهُ بازاء العلم الطبيعي علم لاهوتي. ولكنهُ ما كاد يصل الى هذه المرتبة العقلية حتى تولدت في ذهنهِ الشكوك والشبهات وعمر رأسهُ بالايرادات والاستشكالات وهي من لوازم الاعمال العقلية فتجارأ بعض آحادهِ على نفي القوة العاقلة المدبرة للكون والذهاب في تعليل الوجود بالفواعل الطبيعية المحضة . الاَّ ان اولئك الآحاد لم ينجحوا في نشر مذهبهم بين الدهماء لغلبة سلطان العقائد على الاذهان ومسايرة العلوم الكلامية لاهواء الانسان

بدأت هذه النزعة المادية حوالي القرن الخامس قبل المسيح وبقيت مقصورة على بعض المفكرين هدفاً لتجريح الدينيين والاعتقاديين من الفلاسفة الرسميين. وتشدد حفظة العقائد في تعقب اصحابها في بعض الادوار تشدّداً ليس لهُ مثيل في تاريخ التطورات العلمية وازدادوا في الوقت نفسهِ جموداً على تعاليمهم وعداءً لحرية البحث والنظر حتى اختنق العقل الانساني تحت آصار التقييد وعميت سبل التأمل على الناظرين وظل العالم الغربي على هذه الحالة نحواً من الف سنة حتى كانت فتنة الحروب الدينية بين البروتستانت والكاثوليك وما نشأ عنها من وحدة الدينيين فتجرأ الفيلسوف الايطالي بطرس بومباتيوس سنة (١٥١٦) على التصريح جهاراً بانكار الروح وبعدم امكان حدوث الاعمال العقلية بدون جسد وتلاهُ جسندي سنة (١٥٩٢) فاحيا مذهب ديموكريت المادي اليوناني في الجواهر الفردة وتلاهما توماهوبس من كبار فلاسفة الانجليز ولكنهُ اضطر الهرب من انجلترة خوفاً من بطش الدينيين

فلما جاء القرن الثامن عشر كان الجو اكثر ملاءمة لنشر الفلسفة المادية فنبغ دافيدهيوم في انجلترة ناصراً لها وأيدهُ في فرنسا كوندياك ودولامتري وديدرو وفي المانيا البارون هولباخ. ولم يهلّ القرن التاسع عشر حتى كان للفلسفة المادية دولة قوية الشوكة ولاسيما في المانيا دخل تحت لوائها اكثر اذكياء الامم في عشرات قليلة من السنين لانها اعتبرت تحريراً للعقل من أسر الاضاليل الموروثة. وزاد الماديين تبجحاً بنظرياتهم جمود رجال الدين على عقائد. تناقض بدائه العقل واحتفاظهم بآراء ظهر بطلانها بالحس ومعاداتهم للعلم معاداة لا هوادة فيها مع ظهور أثرهِ الباهر في ترقية الحياة الانسانية وتخفيف ويلاتها الجمة

فلما ظهر مذهب دارون سنة (١٨٥٩) تلقاهُ الماديون بالتصفيق الحاد وعدوهُ ضربة قاضية على كل مذهب يناقض المادية لاقامتهِ الدليل القاطع على ان الكون سائر على نظام آلي محض وأكب الماديون على تعليل كل صغيرة وكبيرة في الكون بالنواميس المادية البحتة متشددين في انكار كل ما عداها من عقل مدبر أو عالم روحاني فكان كل ما يروى لهم من الخوارق التي غص بها تاريخ العالمين ويشير الى وجود قوى تعمل في الكون من غير طريق النواميس الآلية يعدونهُ من خرافات الاقدمين واكاذيب المتنبئة والمشعوذين

فكان اذا تجرأ متجرىء على التصريح بوجود عالم وراء المادة صاح بهِ الماديون من كل مكان قائلين لهُ : أنتهيت اليهِ فانت تخبر عنهُ عن عيان ام سلمت بهِ انضياعاً لاضاليل الكهان ؟ وان تجاسر متكلم على القول بوجود روح في الانسان نظر بعضهم الى بعض يتغامزون ثم قالوا لهُ وهم يتضاحكون : لا تصدق الاَّ ما تراهُ بعينيك وتلمسهُ بيديك والا فخذ بكل ما يقال وهيء ذهنك لقبول كل خيال

هنا تقوضت دولة المنطق وانهارت اركان النظر العقلي وأصبح الحكم المطلق للحس والعيان واين منهما المتكلمون في العالم الروحاني والنفوس المجردة عن المادة ؟ أدرك الباقون من اشياع دولة الروح ان الخطب جلل وان العقبات التي تعترضهم لا تذلل فادركهم الشك هم الآخرين وتحرَّج موقف حفظة الاديان وسرت اليهم عدوى التعاليم المادية فاصبح وجودهم في وظائفهم مبنيًّا على المصلحة الشخصية لا على العقيدة الدينية

كان كل هذا ولم تبطل في دور من تلك الادوار تلك الامور الخارقة للعادة الدالة على وجود عالم روحاني محجوب وراء هذا العالم المادي المشهود من حدوث حوادث في بعض الدور تدل على وجود عوامل عاقلة مستترة عن العيون وظهور اشباح متجسدة للمستعدين لرؤيتها وسريان ارواح النائمين ووقوفها من هذا الطريق على ادراك كثير من الشؤون المغيبة . ولكن من الذي كان يستطيع في دور غلبة المذهب المادي في القرنين السابقين أن يرفع بهذه الامور رأساً او يحرك بها شفة وألسنة المتهكمين مترصدة واقلام الناقدين مترقبة تشن على كل متكلم فيها غارات لا تبقي ولا تذر أقلها ان تسلبهُ كرامتهُ بين العارفين وتعدهُ في زمرة الممخرقين حتى ان الطبيب (مسمر) الالماني لما وقف على سر التنويم المغناطيسي في اخريات القرن الثامن عشر وهو الفن الذي كان يمارسهُ المصريون والهنود والصينيون منذ الوف من السنين وعالج الوفاً من الذين كان قد حكم الاطباء على امراضهم بالاعضال سلقه الناقدون بألسنة من نار ووصموهُ بالتدجيل والشعوذة وحطُّوا من كرامتهِ كل الحط حتى امضى بقية ايامهِ مرذولاً منبوذاً . فخلفهُ في التجارب جمهور من الاطباء وغيرهم فلم يكونوا احسن حظًّا منهُ . وألفت جمعية العلماء

الفرنسية لجنة لبحث هذا التنويم المزعوم . . . فقررت بعد التجارب المدققة . . . انهُ زور وبهتان وان القائلين بهِ مدلسون أو اغبياء . فظل انصاره مئة عام يقرعون التهم الكلامية بالتجارب العملية حتى اضطروا تلك الجماعات الرسمية المسماة بالجمعيات العلمية الى اعتباره فرعاً من العلوم المقررة . ولكن تلك المادية الموروثة لم تسمح لهم ان يقروا منهُ الاَّ ما لا يناقض مذهبهم وغضوا الطرف عن مشاهداتهِ العالية التي تثبت وجود الروح بالحس لكل مجرب فيهِ

ظل العلماء في هذه الخيلاء الفكرية كل القرن الثامن عشر والنصف الاول من القرن التاسع عشر وبات الناس تبعاً لهم مفتونين بتلك المقررات العلمية الناقصة متخيلين انهم حلوا مساتير الكون وتمكنوا من تعليل كائناتهِ تعليلاً آلياً محضاً حتى هدأت ثائرة هذا الدور الانتقالي وسكنت فورة الفرح بالجديد فاخذ العقل الانساني ينظر فيما حصلهُ بعد كل هذا الجهاد الجهيد نظر نقد وتمحيص وقد صحا من نشوتهِ وسكن من هزتهِ فاذا بهِ لم يبرح موقفهُ الاول اللهمَّ الاَّ علما ببعض الظواهر واكتشافاً لبعض البسائط . اما من جهة ما كان يزعمهُ من ادراك سر الطبيعة ووقوفهِ على آثار العلل الاولية فوجد انهُ قد انخدع بالفاظ بعدت بهِ عن مجال الفلسفة العملية التي ارتضاها اسلوباً لبحثهِ اشواطاً بعيدة حتى اشبه الخياليين الذين طالما تبجح عليهم بمحصولهِ وتعالى عليهم باصولهِ . وجد ان المادة لا تزال مجهولة وان القوى التي دعاها ميكانيكية مقررة لا تعدو النظريات الظنية وان العلل التي فسر بها الوجود ظواهر خداعة لا ينطبق التعويل عليها على اسلوبهِ وان تلك النواميس العليا التي علل بها عالم الاحياء والتنوعات البيولوجية كناموس الانتخاب الطبيعي والوراثة معلولة لا يصح ان يركن اليها الاَّ اذا اراد ان يموه على نفسهِ . وقد اوجز هذا الموقف من الحيرة العلمية الاستاذ المشهور (جوستاف لوبون) في كتابهِ تحول المادة فقال :

« كل نظرياتنا العلمية العظيمة ليست بقديمة العهد جدًّا فان تاريخ العلم التجريبي المحقق لا يصعد الى ابعد من ثلاثة قرون . وفي هذا العهد القريب قرباً نسبيًا حدث دوران مختلفان من ادوار التحول في افكار العلماء

« فالدور الاول كان دور الثقة وهو الذي تكلمت عنهُ آنفاً . فكانت المقررات الفلسفية والدينية وهي قواعد مدركاتنا القديمة على الوجود تضمحل وتزول ببطء

امام الاستكشافات العلمية التي تتوالى كل يوم ولاسيما في النصف الاول من القرن الاخير . فما كنت تسمع من يرفع عقيرتهُ بشكوى . وكيف يشكى من احلال الحقائق المطلقة محل اوهام المعتقدات القديمة . فكان يظن مؤسسو كل علم جديد انهم يحدون لهُ الدوائر النهائية التي لا يعوزها غير سد ما فيها من الفراغ . وكان يخيل اليهم انهم متى اتموا بناء الصرح العلمي استمر هذا الصرح قائماً على انقاض اوهام الزمان الماضي . فكانت الثقة العلمية في هذا الدور على اتم ما تكون

« دامت هذه الثقة في المقررات الكبرى للعلم العصري حافظة لقوتها الى ان حدثت في الايام الاخيرة استكشافات غير منتظرة قضت على الفكر العلمي بان يكابد من الشكوك ما كان يعتقد انهُ قد تخلص منهُ الى ابد الآبدين. فان الصرح العلمي الذي كان لا يرى ما فيهِ من الصدوع الاَّ عدد قليل من العقول العالية تزعزع فجأة بشدة عظيمة . وصارت التناقضات والمستحيلات التي فيهِ ظاهرة للعيان بعد ان كانت من الخفاء بحيث تكاد لا تبلغها الظنون

« ادرك الناس على عجل انهم كانوا مخدوعين واسرعوا يتساءلون عما اذا كانت الاصول المكونة للمقررات اليقينية لمعارفنا الطبيعية لم تكن الاَّ فروضاً واهية تحجب تحت غشائها جهلاً لا يسبر لهُ غور . فحدث اذ ذاك في العقائد العلمية مثل ما كان حدث قبل ذلك للعقائد الدينية عند ما شرعوا في مناقشتها الحساب اذ سبقت ساعة النقد ساعة الانحطاط ثم تلاها دور الزوال والنسيان

« لا مشاحة في ان الاصول التي كان العلم يختال بها اختيالاً لم تزل كل الزوال بل هي ستبقى امداً طويلاً في نظر الدهماء كحقائق مقررة وستستمر الكتب الابتدائية في نشرها ولكنها فقدت كل ما كان لها من الاجلال في نظر العلماء الحقيقيين

« وقد كتب المسيو (لوسيان بوانكاريه) من جهتهِ يقول : « لا توجد لدينا نظريات عالية الآن يمكن قبولها قبولاً تاماً ويجمع عليها المجربون اجماعاً عاماً . بل يسود اليوم على عالم العلوم الطبيعية نوع من الفوضى . وقد اتسع المجال للافتراضات الجريئة ولم يظهر ان ناموساً من النواميس يمكن اعتبارهُ ضرورياً ضرورة مطلقة . فنحن نشهد في هذه الآونة اعمالاً هي اشبه بالهدم منها باقامة بناء نهائي . فالآراء التي كانت تظهر لمن سبقنا انها تأسست تأسساً ثابتاً صارت اليوم لدينا موضوعاً للمناقشة. وقد رفض اليوم على وجه عام الرأي القائل

بان كل الظواهر الطبيعية تقبل تعليلات ميكانيكية . فان اصول علم الميكانيكا نفسها صارت مشكوكا فيها. وقد شوهدت حوادث جديدة زعزعت ثقتنا المتعلقة بالقيمة المطلقة للنواميس التي اعتبرت الى اليوم كأنها اساسية » انتهى كلام العلامة لوسيان بوانكاريه.

ثم عاد الاستاذ (جوستاف لوبون) فقال :

« ولكن من حسن الحظ لا شيء اكثر ملاءمة للترقي العلمي من هذه الفوضى الحالية . فالوجود مفعم بمجهولات لا نراها . والحجاب الذي يحجبها عنا منسوج غالباً من الآراء الضالة او الناقصة التي توجبها علينا تقاليد العلم الرسمي . فقد دلنا التاريخ على مبلغ تأثير النظريات العلمية في تأخير الترقي متى حصلت على درجة معينة من الجمود . فلا يمكن والحالة هذه احداث خطوة واحدة الى الامام الاَّ بعد تفكك الآراء السابقة. فان تعيين ضلالة واحدة وتتبع نتائجها يساوي احياناً حدوث استكشاف جديد فالاشد خطراً على تقدم العقل الانساني هو تقديم الظنيات للقارئين لابسة حلل الحقائق المقررة على نحو ما تفعلهُ الكتب المدرسية والتطاول لوضع تخوم للعلم ورسم حدود لما يمكن معرفتهُ كما كان يود ذلك اجوست كونت » انتهى

ونحن نقول بعد هذا التمهيد : لما وقف العقل الانساني في شخص رجال العلم العالي هذا الموقف من النظر الصادق والادراك الصحيح والتواضع الجدير بهِ وهو في وسط هذه اللجة من المجاهيل العالمية حرَّم على نفسه الركون على اصل ركونا مطلقاً مهما زين لهُ الخيال انهُ ثابت لا ينقض والقى عن عينه تلك الغشاوة التي كانت تمنعهُ من النظر في كل ما يخالف مقرراتهِ الموروثة وعلم هذا الدرس القاسي من الانخداع عدم التسليم لغير ما يقع تحت حسه بالتجربة فما كاد يبلغهُ وجود حادثة من حوادث ما وراء المادة يمكن تحقيقها بالاسلوب التجريبي حتى بادر الى تمحيصها ولم يأنف من اعلان حقيّتها. ولم يستكبر جماهير من العلماء شابت نواصيهم في المباحث المادية وملايين من الاذكياء والفضلاء جمدوا على على الالحاد وتربوا في مهدهِ أن يهتموا بدراستها مجتمعين ومتفرقين وان يصرحوا بما رأوه غير هيابين ولا مترددين

هذا سر تقاطر رجال العلم العالي واراكين النهضة العصرية على بحث مشاهدات ما وراء المادة وامعانهم في هذا السبيل بتهمة لم تعهد في تاريخ العلم الى اليوم . ولكن ما ابعد الشرقيين عن مثل هذا الموقف الجليل من التواضع والتعطش للحقيقة . انهم لا يزالون في دور الغرور بالنظريات العلمية الناقصة والتبجح بمقررات الفلسفة المادية البائدة متوهمين أن ذلك منتهى الالمعية واقصى غايات الضلاعة العقلية . ولا يدري الاَّ الله كم مقدار الامد الذي يمضونهُ في هذا الدور الخادع سهل الله عليهم الانتقال منهُ

ومما نتلبه اليهِ هنا ان البحث في المشاهدات الروحية ليس بوقف على العلماء بل تناولتهُ جميع الطبقات من اطباء ومهندسين واصوليين وصحفيين وماليين وغيرهم ممن يعدون بالملايين تألبت كل هذه العقول البشرية على تحقيق حوادثها فلم تزدد الاَّ وضوحاً حتى صارت اليوم في عداد الامور الحسية التي تمتحن بالآلات المعدنية . فثبت من مجموع هذه الابحاث ان وراء هذه المادة المحسوسة عالماً اعلى منهُ عامراً بالكائنات العاقلة وان الانسان متى اتم العمر المقدر لهُ هنا انتقل الى ذلك العالم بما حصلهُ من علم واختبار وتابع فيهِ طريق ترقيهِ حاملاً جسداً اثيريًّا لا يعدو عليهِ التحول ولا الفناء وانهُ لا يزال يترقى حتى يصل الى درجات يعجز عن تخيلها حتى الارواح المجردة العالية التي تتصل بالباحثين بالطرق التي بيناها هنا

هذه العقيدة لم يحصل عليها العقل العصري من طريق الدين ولا من طريق المنطق ولكن من الطريق العلمي التجريبي المعروف . وقد تردد في قبولها عشرات من السنين قلبها فيها على كل وجه وسرّى عليها كل اسلوب من التمحيص حتى صارت هي والحسيات في مستوى واحد . فاخذ بها كما يأخذ بالعلم الطبيعي الذي تهديهِ اليهِ الحواس بل هي من العلم الطبيعي وانما سميت وراء الطبيعة لانها لم تكن في دائرة البحث العلمي . اما اليوم وقد تناولها الاسلوب العلمي التجريبي فهي من صميم العلوم الطبيعية مثل الكلام فيها كمثل الكلام في اشعة رونتجن وخصائص الراديوم . وقد اعتبر العقل الانساني وقوف العلم على آثار هذا العالم الروحاني انتقالاً منهُ من دور الحرج والنقص الى دور السعة والتكمل فانهُ وصل بهِ بين شطري الوجود اي بين شطرهِ المدرك بهذه الحواس القاصرة وبين شطرهِ

المحجوب عنها . ولا يخفى ان المحجوب عنها هو مستقر القوى المؤثرة ومسرح العوامل المكونة . فتم لهُ بذلك وصل ما يجب ان يكون موصولاً ليجد العلم المجال امامهُ مطلقاً فلا يقف حيال كل مسألة من المسائل التي يتحرق الانسان لادراكها حائراً ثم يرتد عنها معترفاً بانهُ امام مجهول لا يسبر لهُ غور . بهذا الوصل بين شطري الوجود انحلت مسألة من اكبر المسائل الانسانية وهي التناقض المؤلم القديم بين العلم والدين . فتحول الدين عن اسلوبهِ المعروف من التسليم بالغيب والجولان في متاهات الآراء القديمة الى ادراك صحيح مبني على الاسلوب العلمي الصارم . فتوحدت وجهتا الانسان . فبعد ان كان امامهُ عقيدة وعلم على طرفي نقيض اصبح امامهُ علم محض جامع لجميع ميولهِ الجسدية والروحية . اركانهُ المشاهدة والتجربة وعمادهُ النظر والاختبار لا يأتيهِ الباطل من بين يديهِ ولا من خلفهِ ولا ينابذ فيهِ الاَّ من خادع نفسهُ

هذا عهد للانسانية تصغر كل عبارة عن وصف جلالهِ وجمالهِ ويعجز كل خيال عن تقدير آثارهِ في ترقيتها وايصالها من فهم الحقائق الكبرى الى ما تتوجه اليهِ بكليتها . ولا يمكن تصوير ما يبتنى على ذلك من طهر النفوس وسمو الاخلاق وبعد الغايات وتلاشي الفوارق الجنسية والدينية والشعور بالسعادة الحقة والطمأنينة الكاملة واعتبار الموت كما هو في الواقع ترقياً من عالم نقص الى عالم كمال وانتقالاً من سجن الحواس القاصرة الى باحة الاطلاق المنزه عن القيود

هذا هو العهد الذهبي الذي طالما تخيلهُ الانسان في كل زمان ومكان فليعمل لهُ العاملون ولا يقف في سبيلهِ الشاكون بل ليقرأوا ما كتبهُ اشياعهُ وليجربوا ما جربوهُ فقد وضح الصبح لذي عينين وملأ نورهُ الخافقين

وقد اتينا فيما نشرناهُ في المقتطف على صورة مصغرة لمشاهدات هذا الفتح الالهي وسردنا كثيراً من شهادات مجربيها ولم ندع وجهاً من وجوه بيان مسائلهِ الاَّ اتينا عليهِ او اشرنا اليهِ حتى صارت مقالاتنا هذه كافلة لدحض كل شبهة تقام ضدها فان فيها لكل ما يكتب في توهينها ردًّا مقنعاً ولكل ما يستشكل بهِ عليها بياناً وافياً يدركهُ من يراجع تلك المقالات عندما تمر بهِ شبهة او يقرأ في تحقيرها مقالاً . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

محمد فريد وجدي

تعقيب

على اثبات الروح بالمباحث النفسية

اتمَّ محمد بك فريد وجدي مقالاتهِ الممتعة التي اراد بها اثبات الروح بالمباحث النفسية وهو الموضوع الذي كتبنا فيهِ في مجلدات المقتطف السابقة ما يملأُ الف صفحة على الاقل ذاكرين ما يقولهُ انصارهُ وما يقولهُ مخالفوهم. ولم نكتفِ بالنقل عن زعماء الفريقين بل امتحنا الوسطاء الذين يدَّعون مناجاة الارواح وذلك في اوربا وهذا القطر والقطر السوري فلم نرَ شيئاً غريباً لا يمكن تفسيرهُ بغير مناجاة الارواح . وزد على ذلك اننا انتقدنا مرةً ما كتبهُ المسترستد عن انباء وسيطة بقتل ملك السرب قبلما قُتل ثم ثبت ان انتقادنا كان في محلهِ وان ما كتبهُ المستر ستد لم يكن صحيحاً. وانتقدنا ايضاً تقرير اللجنة التي ارسلتها جمعية المباحث النفسية لامتحان اوسابيا بلادينو وايدت دعواها ثم ثبت بالامتحان ان تلك المرأة كانت تخدع مشاهديها

وقد طالعنا كثيراً من انفس الكتب التي تلمُّ بهذا الموضوع مثل كتاب الدكتور ميرس « الشخصية الانسانية وبقاؤها بعد موت الجسد » Human personality and its survival of bodily death. وكتاب الاستاذ وليم جمس « علم النفس » Psychology وكتُب السر اوليفر لدج وكثيراً من المقالات التي نشرت في اكبر المجلات الانكليزية والاميركية فلم نرَ فيها كلها دليلاً قاطعاً على ان الذي يُنطِق الوسطاءَ هو روح انسان ميت مع رغبتنا الشديدة في مخاطبة ارواح الموتى . وهذا ما يقولهُ كل الذين يعتدُّ بقولهم من رجال الدين في الكنيسة الكاثوليكية والبرتستانتية والارثوذكسية اي الزعماء الدينيون لستمائة مليون من البشر الروحيين المعتقدين بخلود النفس . واحدث ما لدينا من الادلة على ذلك ما جاءَ في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية في عدد يناير هذه السنة وهو ان مؤتمر الكنيسة الانكليزية الذي عُقد حديثاً اعلن رئيسهُ فيهِ (وهو رئيس اساقفة انكلترا) ان مجمع الاساقفة الذي موعد اجتماعهِ هذه السنة سيبحث في مسألة مناجاة الارواح Spiritualism . وهذا دليل قاطع ان اشد الروحيين تمسكاً بالروحية لا يزالون مرتابين في صحة مناجاة ارواح الموتى

وقد اورد وجدي بك في مقالاتهِ خلاصة الادلة التي يقيمها اصحاب مذهب

المناجاة لتأييده فاجاد واوفى الموضوع حقهُ من هذا القبيل . لكنهُ لم يكتفِ بادلة التأييد بل شدَّد النكير على منكري المناجاة او مفسري اعمال الوسطاء واقوالهم بغير مخاطبة ارواح الموتى وجارى الذين يتهمونهم بانهم ماديون وان اعتقادهم المادي هو الذي يمنعهم من التسليم بوجود الارواح وبالتالي من التسليم بصحة مناجاتها . والتهمة بالمادية قديمة جداً اتُّهم بها كل العلماء الطبيعيين من ايام غليليو الى الآن حتى باخت وصدق عليها ما قيل في تلك الناقة

لقد هزلت حتى بدا من هزالها   كلاها وحتى سامها كل مفلسِ

ونود ان يترفَّع وجدي بك عنها ونرجح انهُ لو علم ان اكبر المعترضين على دعوى مناجاة ارواح الموتى هم رؤساء الدين في الكنائس المسيحية الذين لا يرتاب أحد منهم في خلود نفس الانسان — لو علم ذلك لما خطر على بالهِ ان يتهمهم هذه التهمة

ثم ان بعض العلماء الذين يعتقدون مناجاة الارواح لا يفرقون بين المادة والروح بل يقولون ان الروح تتجسم فتصير مادة والمادة تنحل فتصير روحاً

هذا ولا خلاف في ان الوسطاء يفعلون افعالاً غريبة سواء كان بالكلام او بالقرع او بالكتابة . والناس في تفسير هذه الافعال فريقان فريق يقول ان سببها داخلي subjective اي ان الوسيط يفعلها من تلقاء نفسه اما احتيالاً واما بفعل داخلي فيهِ كما يتكلم ويمشي وهو نائم او مصاب بالبحران. وان الذين يشاهدونها قد يتوهمون انهم رأوا وسمعوا اكثر مما رأوا وسمعوا او يروون عنها غير ما رأوا وسمعوا. وفريق يقول ان سببها خارجي objective وهؤلاء ثلاث فرق فرقة تقول ان سببها ارواح الموتى وفرقة ان سببها ارواح الشياطين وفرقة ان سببها روح منتشرة في الكون

وما من احد الاَّ وهو يودُّ ان يعرف اين كان قبلما ولد والى اين يذهب بعدما يموت. اما جسدهُ فامرهُ معلوم تراب والى التراب يعود . واما عقلهُ او روحهُ او نفسهُ فشيء آخر غير هذا التراب نعلم وجودهُ فينا ما دمنا احياء فما هو واين تكوَّن والى اين يذهب بعد موتنا . الاديان الثلاثة الموسوية والعيسوية والمحمدية تقول انهُ يذهب بعد الموت الى الجنة او الى النار . والعلوم الطبيعية تقول انها لا تعلم اين كان ولا الى اين يذهب . فهل صار في الامكان ان تتصل ارواح الموتى بالاحياء فتثبت وجودها لهم وتخبرهم بالحالة التي هي فيها وبما يصيب ارواحهم بعد مغادرتها اجسامهم . هذه احق المسائل بالبحث والتحقيق

الناشىء الفقير (١)

لي ولد وحيد في السابعة من عمرهِ لا أستطيع على حبي اياه . وافتتاني بهِ . أن اتركهُ من بعدي غنيًّا لاني فقير . وما انا بآسف على ذلك ولا مبتئس . لاني أرجو بفضل الله وعونهِ . ورحمتهِ واحسانهِ . أن اترك لهُ ثروة من العقل والادب . هي عندي خير الف مرة من ثروة الفضة والذهب

أحب ان ينشأ معتمداً على نفسهِ في تحصيل رزقهِ . وتكوين حياتهِ . لا على أي شيء آخر حتى على الثروة التي يتركها لهُ ابوهُ . ومن نشأ هذا المنشأ . والف أن لا يأكل الاَّ من الخبز الذي يصنعهُ بيدهِ نشأ عزوفاً عيوفاً مترفعاً لا يتطلع الى ما في يد غيره . ولا يستعذب طعم الصدقة والاحسان

أحب ان ينشأ رجلاً . ولا سبيل الى الرجولة إلاَّ من ناحية العمل . وقلما يعمل العامل الاَّ بسابق من الضرورة ودافع من الحاجة . وفرق بين الفتى الذي يعمل لتنمية ثروتهِ وتعظيم شأنها شرهاً وفضولاً . وبين الفقير الذي يعمل لتحصيل قوتهِ . وتقويم أود حياتهِ

أحب ان يعيش فرداً من افراد هذا المجتمع الهائل المعترك في ميدان الحياة يصارع العيش ويغالبهُ . ويزاحم العاملين بمنكبيهِ . ويفكر ويتروَّى . ويجرب ويختبر . ويقارن الامور بأشباهها ونظائرها . ويستنتج نتائج الاشياء من مقدماتها . ويعثر مرة وينهض اخرى . ويخطيء حيناً ويصيب أحياناً . فمن لا يخطيء لا يصيب . ومن لا يعثر لا ينهض حتى تستقيم لهُ شؤون حياتهِ

ذلك خير لهُ من ان يجلس في شرفة من شرف قصرهِ مطلاًّ على العاملين والمجاهدين يمتع نظرهُ بمرآهم كأنما يشاهد رواية تمثيلية في احد ملاعب التمثيل

أحب ان يمر بجميع الطبقات ويخالط جميع الناس ويذوق مرارة العيش ويشاهد بعينهِ بؤس البؤساء . وشقاء الاشقياء . ويسمع بأذنهِ أنات المتألمين .

---

(١) وهي الخطبة التي القاها حضرة الكاتب في الحفلة السنوية لجمعية القديس جاورجيوس يوم ٢٩ فبراير الماضي للحكم في المناظرة التي جرت في تلك الحفلة بين جماعة من الادباء الافاضل في موضوع « أيهما اصلح للانسان ان يولد فقيرا او غنياً »

وزفرات المتوجعين . ليشكر الله على نعمتهِ إن كان خيراً منهم . ويشاركهم في همومهم وآلامهم ان كان حظهُ في الحياة مثل حظهم. ولتنمو في نفسهِ عاطفة الرفق والرحمة. فيعطف على الفقير عطف الاخ على الاخ ويرحم المسكين رحمة الحميم للحميم

أما الغني الذي لم يذق طعم الفقر في حياتهِ فقلما يشعر بآلام الناس ومصائبهم او يعطف على بأسائهم وضرائهم . فان حاول يوماً ان يمد يدهُ بالمعونة الى بائس او منكوب . فعل متفضلاً ممتناً . لا راحماً ولا متألماً

والالم هو الينبوع الذي تتفجر منهُ جميع عواطف الخير والاحسان في الارض. وهو الصلة الكبرى بين افراد المجتمع الانساني . والجامعة الوحيدة التي تجمع بين طبقاتهِ واجناسهِ . بل هو معنى الانسانية وروحها وجوهرها . فمن حرمهُ حرم كل فضيلة من فضائل النفس . وكل مكرمة من مكرماتها . وأصبح بالصخرة الصلدة الصماء اشبه منهُ بالانسان الناطق

أحب ان يجوع ليجد لذة الشبع . ويظمأ ليستعذب طعم الري ويتعب ليشعر ببرد الراحة . ويسهر لينام ملء جفونهِ . اي انني احب لهُ السعادة الحقيقية التي لا سعادة في الدنيا سواها

وما السعادة في الدنيا الاَّ لمحات كلمحات البرق تخفق حيناً بعد حين في ظلمات الشقاء . فمن لا يرى تلك الظلمات لا يراها . واشقى الاشقياء اولئك المترفهون الناعمون الذين يوافيهم الدهر بجميع لذائذهم ومشتهياتهم . فلا يزالون يمعنون فيها ويتقلبون في جنباتها حتى يستنفدوها. فيستولي على عقولهم مرض السآمة والضجر فيتألمون من الراحة اكثر مما يتألم التعب من التعب. ويقاسون من عذاب الوجود اكثر مما يقاسي المحروم من عذاب الحرمان . وقد تدفعهم تلك الحالة الى الالمام بمشتهيات غريبة لا تتفق مع الطبيعة البشرية ولا تدخل تحت حكمها تفريجاً لكربتهم . وتنفيساً عن انفسهم . وما هؤلاء المساكين الذين نراهم سهارى طوال لياليهم في ملاعب القمار ومجالس الشراب ومواقف الرهان الاَّ جماعة الفارين من سجون السآمة والملل يعالجون الداء بالداء . ويفرون من الموت الى الموت

أحب ان يكون غنياًّ بالمعنى الحقيقي لا بالمعنى الاصطلاحي . اي أن يكون مستغنياً بنفسه عن غيرهِ لا كثير المال والثراء . وما سمي المال غنى الاَّ باعتبار

انهُ وسيلة الى الغنى وطريق أليه . وهو اعتبار خطأ ما في ذلك ريب . فان اكثر الناس فقراً الى المال واشدهم طمعاً في احرازه واعظمهم مخاطرة بكرامتهم وفضائل نفوسهم في سبيله هم الاغنياء اصحاب المال والثراء . وان كان في الدنيا شيء يسمى قناعة واعتدالاً فهو في جانب الفقراء المقلين اكثر منهُ في جانب الاغنياء المكثرين . ولا يزال المرء يعتبر المال وسيلة الى الحياة وذريعة من ذرائعها حتى يكثر في يده فاذا هو في نظره الحياة نفسها يجمعهُ ولا يدري ماذا يريد منهُ. ويعبدهُ وهو لا يرجو ثوابهُ . ولا يخشى عقابهُ . ويستكثر منهُ وهو على ثقة من نفسهِ بأنهُ لا ينتفع بقليله فضلاً عن كثيره . واذا بلغ المرء في حالتهِ العقلية الى درجة ان تنقلب في نظرهِ حقائق الكون وتتغير نواميسه فيرى الرؤوس أذناباً والاذناب رؤوساً .والوسائل غايات.والغايات وسائل فقل على عقلهِ السلام

لا اكره ان ينشأ ولدي غنيًا ولا احب ان اعرضهُ لمخاطر الفقر وآفاته . ولكني أخاف عليهِ الغنى اكثر مما اخاف عليهِ الفقر

أخاف عليهِ ان يعتد بالمال اعتداداً كثيراً ويقدرهُ فوق قدره ويعتبرهُ الكمال الانساني كله فلا يهتم باصلاح اخلاقهِ وتهذيب نفسهِ . وان لا يجد من حوله من اصدقائهِ ومعارفهِ مرآة يرى فيها عيوبهُ وهناتهِ . لان عشراء الاغنياء متملقون مداهنون يطوون سيئاتهم ويزخرفون حسناتهم

أخاف عليهِ ان تستحيل نفسهُ الى نفس مادية جامدة لا تفهم من شؤون الحياة غير المادة ولا تعنى بشيء سواها.فيصبح رجلاً قاسياً صلباً ميت النفس والعواطف لا يرحم بائساً . ولا يعطف على محزون . ولا يرثي لامة . ولا يبكي على وطن . ولا يشترك في شأن من شؤون العالم العامة خيرها أو شرها . ولا يعنيهِ ما دام راضياً عن نفسه مغتبطاً بحظه أسقطت السماء على الارض ام بقيت في مكانها

أخاف عليهِ ان يحتقر العلم والفنون والآداب . ويزدري المواهب والعقول والفضائل والمزايا . فيصبح عار امته وشنارها . ووصمتها الخالدة التي لا تزول . ومن أُشرب قلبهُ حب المال ونزل من نفسه الى قرارتها لا يحترم غيره ولا يقيم لغير اربابه وزناً . ويخيل اليهِ ان من عداهم من فئات الناس لا شأن لهم في الحياة بل لا حق لهم في الوجود

أخاف عليهِ ان تزوج ان يأبى الزواج الاَّ من غنية يرى انها هي التي تليق مقامهِ ومنزلتهِ . ومن اشترط الغنى في زوجة لا يستطيع ان يشترط شيئاً سواهُ . يسقط في زواجهِ سقطة يشقى بها طول حياتهِ من حيث لا ينفعهُ مالهُ ولا جاههُ

أخاف عليهِ ان وَلدَ ان لا يجد بين اوقاتهِ ساعة فراغ يتولى فيها النظر في هذيب ولدهِ وتربيتهِ . فيتركهُ صغيراً في ايدي الخدم . وكبيراً في ايدي عشراء السوء . فيصبح نكبتهُ الكبرى في حياتهِ . وعارهُ الدائم بعد مماتهِ

أخاف عليهِ ان يقضي ايامهُ ولياليهُ خائفاً مذعوراً مروَّع القلب مستطار الفؤاد تله الخسارة ان خسر . ويصعقهُ فوتُ الربح ان فاتهُ . ويطير بنومهِ وهدوئهِ ويذهب براحته وسكونهِ هبوط الاسعار . ونزول الاسهم . وتقلبات الاسواق . وخسران القضايا . ومنازعات الخصوم . والآفات السماوية . والجوائح الارضية

وما حزن الفقير الذي انفق آخر درهم كان بيدهِ من حيث لا يعرف لهُ طريقاً لى سواهُ على نفسهِ وعلى مستقبلهِ باشد من حزن الغني الشحيح على الدرهم الذي نقص من مليونهِ . أو الذي كان يؤمل ان يتمم بهِ مليونهُ فلم يتح لهُ

وما ليلة البائس المسكين الذي يتصايح اولادهُ من حولهِ جوعاً ولا يجد ما يسد بهِ رمقهم باطول من ليلة الغني الذي يسقط اليهِ الخبر بان سلعة من سلعهِ قد تلفت . او ان سهماً من اسهمهِ قد نزل

ولقد رأيت بعيني من جُنَّ وهو واقف ينظر الى قصر من قصورهِ يحترق وسمعت كثيراً عن حوادث المنتحرين والمصعوقين على اثر النكبات المالية والخسائر التجارية التي لا تفقرهم . ولا تصل بهم الى درجة الإملاق . بل ربما كان كل اثرها عندهم انها تنقلهم الى منزلة في الغنى ادنى من منزلتهم الاولى

أخاف عليهِ ان يصبح واحداً من اولئك الوارثين المستهترين الذين لا عمل لهم في حياتهم سوى هدم حياتهم بايديهم وهدم ما ترك لهم آباؤهم وأجدادهم من مال وجاه . فاندب حظي في قبري . واقرع السن على ان لم اكن قد فارقت هذه الحياة ولا مال لي فيها ولا ولد

ولا ازال اذكر حتى الساعة انني مررت باحد شوارع القاهرة من بضع سنين فرأيت في مكان واحد منهُ منظرين مختلفين متناقضين . رأيت غلاماً من الوارثين

جالساً باحدى الحانات يمرح في نعمائهِ . وآخر من المتشردين نائماً تحت الرصيف على مقربة منهُ يضطرب في بأسائهِ . اما الاول فقد كان جالساً بين مائدتي شراب وقمار . تسلب الاولى عقلهُ والاخرى مالهُ . وقد احاط به جماعة من الخلعاء الماكرين يلعبون بعقلهِ لعب الغلمان بالكرة في ميادينها . يضحكون لنكاتهِ . ويؤمنون على اقوالهِ . ويصدقون اكاذيبهُ . ويتحركون بحركتهِ . ويسكنون بسكونهِ . وهو يقهقه بينهم قهقهة المجانين ويصيح صياح الثعالب . اما الثاني فقد كان عارياً الاَّ قليلاً . يفتح احدى عينيهِ من حين الى حين كلما رنت في اذنهِ ضحكات هؤلاء السكارى وضوضاؤهم . ويضم ركبتهُ الى صدرهِ كلما احس بصوت مركبة مارة بجانبهِ . وقد يبسط كفهُ احياناً وهو مغمض ان خيل اليهِ ان يداً تمتد اليهِ بالاحسان ولا يد هناك ولا احسان

رأيت هذين المنظرين الغريبين المتباينين فثارت في نفسي في تلك الساعة عاطفتان مختلفتان . عاطفة البغض والاحتقار للاول . وعاطفة الرحمة والشفقة على الثاني . وقلت في نفسي لو كان لي ولد وكان لا بد لهُ من ان يكون احد هذين الغلامين إما الوارث الجالس فوق الرصيف ينثر الذهب نثراً . او المتشرد النائم من تحتهِ يسأل الناس لقمة فلا يجدها لفضلت ان أراهُ بين فئة المتشردين على ان أراهُ بين جماعة الوارثين لاني ارجو لهُ في الاولى ان يجد بين الراحمين راحماً يحسن اليهِ ويستنقذهُ من شقائهِ ويأخذ بيدهِ في طريق الحياة الطيبة الصالحة اما في الثانية فاني لا ارجو لهُ شيئاً

ان للرحمة طيشاً كطيش القسوة والشدة . واطيش الراحمين ذلك الذي يستنفد ايام حياتهِ في جمع الثروة لاولادهِ دائباً ليلهُ ونهارهُ لا يهدأ ولا يفتر من حيث يغفل النظر في شأن تربيتهم وتعليمهم ضنًّا بهم ان يزعج نفوسهم بشيء من تكاليف الحياة وأثقالها . فاذا ذهب لسبيلهِ وخلى بينهم وبين ذلك المال الذي جمعهُ لهم لا يكون لهم من الشأن فيهِ اكثر مما يكون لجماعة الحمالين من الشأن في الاثقال التي يحملونها من مكان الى آخر . فهم ينقلونهُ من خزائنهِ شيئاً فشيئاً الى خزائن الخمارين والمرابين والعاهرين حتى ينتهي . فاذا فرغوا منهُ جلسوا في عرصاتهم المقفرة جلسة الباكي الحزين . صفر الاكف . فارغي الجيوب . مطرقي الرؤوس .

لا حول لهم ولا حيلة . قد اضاعوا حياتهم وحياة آبائهم واجدادهم . وهدموا في عام واحد او عامين قرناً كاملاً مجيداً من اعلاهُ الى اسفلهِ . ولا يعلم الاَّ الله ماذا يكون شأنهم بعد ذلك

ولو انهُ كان يرحمهم رحمة حقيقية ويشفق عليهم اشفاقاً صحيحاً لرحمهم من هذه العاقبة الوخيمة . واشفق عليهم من هذا الميراث المشؤوم

يقولون ان الفقر يدفع الى الجرائم والقتل وارتكاب السرقات . وانا اقول اننا اذا استطعنا ان نفهم الجريمة بمعناها الحقيقي وان لا ننخدع بصور الالفاظ والوانها فان للاغنياء جرائم كجرائم الفقراء بل اشد منها خطراً واعظم هولاً . فان كان بين الفقراء اللصوصُ والقتلة والعيّارون وقطاعو الطريق . فبين الاغنياء المحتالون والمزورون والمغتصبون والخائنون والمداهنون والممالئون : واصحاب المعامل والشركات الذين يغذون اجسامهم بدماء عمالهم . والتجار الذين يسرقون من الامة في شهر واحد باسم الحرية التجارية ما لا يسرقهُ جميع لصوص البلد وعيّاروهُ في سنة كاملة . والقوّام والاوصياء الذين يرثون التركات من دون وارثيها. ويأكلون اموال اليتامى والمعتوهين باسم صيانتها والمحافظة عليها . والسماسرة الذين يسرقون الاسواق باجمعها . والمرابون الذين يختلسون الثروات باكملها

على ان جرائم اللصوصية والسرقة والقتل ليست جرائم الفقر بل جرائم الغنى. فلولا شح الاغنياء باموالهم وكلبتهم عليها وحيازتها عدا الفقراء لما وجد في الارض قاتل ولا سارق ولا قاطع طريق . ولا يسرق السارق ولا ينهب الناهب ولا يلصُّ اللص الاَّ جزءًا من حقهِ الذي كان يجب ان يكون لهُ لو كان للمال زكاة وللرحمة سبيل الى الافئدة والقلوب ليفتح الاغنياء المدارس وليبنوا الملاجىء ولينشئوا المصانع والمعامل للعاطلين والمتشردين وليتعهدوا المنكوبين والساقطين في ميدان الحياة بالمساعدة والمعونة . فان وجدوا بعد ذلك لصوصاً او قتلة او مجرمين فليتهموا الفقر ولينعوا عليهِ جرائمهُ وآثامهُ

لا اريد ان اقول ان الغنى علة فساد الاخلاق . ولا ان الفقر علة صلاحها . ولكن الذي استطيع ان اقولهُ عن تجربة واستقراء اني رأيت كثيراً من ابناء الفقراء ناجحين ولم ارَ الاَّ قليلاً من ابناء الاغنياء عاملين

ان العلوم والمعارف . والمخترعات والمكتشفات . والمدنية الحديثة باجمعها . حسنة من حسنات الفقر . وثمرة من ثمراتهِ . وما المداد الذي كتبت بهِ المصنفات ودونت بهِ الآثار الاَّ دموع البؤس والفاقة . وما الآراء السامية والافكار الناضجة التي رفعت شأن المدنية الحديثة الى مستواها الحاضر الاَّ ابخرة الادمغة المحترقة بنيران الهموم والاحزان . وما تفجرت ينابيع الخيالات الشعرية والتصورات الفنية . الاَّ من صدوع القلوب الكسيرة . والافئدة الحزينة . وما اشرقت شموس الذكاء والعقل في مشارق الارض ومغاربها الاَّ من ظلمات الاكواخ الحقيرة والزوايا المهجورة . وما نبغ النابغون من فلاسفة وعلماء وحكماء وادباء الاَّ في مهود الفقر وحجور الاملاق . ولولا الفقر ما كان الغنى . ولولا الشقاء ما وجدت السعادة

ان المجتمع الانساني اليوم ميدان حرب يعترك فيهِ الناس ويقتتلون. لا يرحم أحد احداً . ولا يلوي مقبل على مدبر . يعدون ويسرعون . ويتصادمون ويتخبطون . ويأخذ بعضهم بتلابيب بعض . كأنهم هاربون من معركة . او مفلتون من مارستان . ودماء الشرف والفضيلة تسيل تحت اقدامهم . وتموج موج البحر الزاخر . يغرق فيهِ منهم من يغرق . وينجو من ينجو

أتدرون لمَ سقطت الهيئة الاجتماعيةُ هذا السقوط الهائل الذي لم تصل الى مثلهِ في دور من أدوار حياتها الماضية ؟ ولمَ هذا الجنون الاجتماعي الثائر في أدمغة الناس خاصتهم وعامتهم . علمائهم وجهلائهم ؟ ولمَ هذه الحروب القائمة . والثوارت الدائمة . والنزاع المستمر بين البشر جماعات وأفراداً . وقبائل وشعوباً . وممالك ودولاً ؟

لا سبب لذلك سوى شيء واحد . وهو ان الناس يعتقدون اعتقاداً خطأ ان المال اساس السعادة وميزانها الذي توزن بهِ . فهم يسعون اليهِ لا من اجل القوت والكفاف كما يجب ان يكون . بل من أجل الجمع والادخار . والمال في العالم كمية محدودة لا تكفي لملء جميع الخزائن وتهدئة كافة المطامع . فهم يتخاطفونهُ ويتناهبونهُ ويتصارعون من حولهِ كما تتصارع الكلاب حول الجيف الملقاة . ويسمون عملهم هذا تنازع الحياة أو تنازع البقاء . وما هو بالتنازع ولا التناظر .

انما هو العراك والقتال . والدم السائل . والعدوان الدائم . والشقاء الخالد

والعلاج الوحيد لهذه الحالة المخيفة المزعجة أن يفهم الناس ان لا صلة بين المال وبين السعادة . وان الإفراط في الطلب شقاء كالتقصير فيهِ . وان سعادة العيش وهناءهُ وراحة النفس وسكونها لا تأتي الاَّ من طريق واحد . وهو الاعتدال

⁂

الآن استطيع غير خاشٍ لوماً ولا عتباً أن اقضي للناشىءِ الفقير على الناشىء الغني قضاءً لا مجاملة فيهِ ولا محاباة . ومن ذا الذي يجامل الفقراء ويحابيهم ؟ وان اقول للناشىء الفقير : صبراً يا بنيّ وعزاءً فانك لم تخلق الاَّ للعمل . فاعمل واجتهد . ولا تعتمد في حياتك الاَّ على نفسك . ولا تحصد غير الذي زرعتهُ يدك . فان لم تجد معلماً يعلمك فعلم نفسك . والزمن خير مؤدب ومهذب . وان ضاقت بك المدارس فادرس في مدرسة الكون ففيها علوم الحياة بأجمعها . وان كنت ممن لا يعدون وظائف الحكومة ومناصبها غنماً عظيماً كما يعدها القَعَدة والعاجزون . فها هو ذا فضاء الارض امامك فامشِ فيهِ وفتش عن قوتك كما تفتش عنهُ الطيور القواطع التي ليس لها مثل عقلك وفطنتك وحيلتك وقوتك . فان الله لم يخلقك في هذا العالم ولم يبرزك الى هذا الوجود لتموت فيهِ جوعاً . او تهلك ظمأً . ولا تصدق ما يقولونهُ لك من ان الناشىء الغنيّ اسعد منك حالاً . او اوفر حظاً وان راقك منظرهُ واعجبك ظاهرهُ . فلكل نفس همومها وآلامها . وهموم الفقر على شدتها اقل هموم الحياة واهونها

وحسبك من السعادة في الدنيا ضمير نقي . ونفس هادئة . وقلب شريف . وان تعمل بيدك فترى بعينيك ثمرات مجهودك ومساعيك تنمو بين يديك وتترعرع فتغتبط بمرآها اغتباط الزارع بمنظر الخضرة والنماء في الارض التي فلحها بيده . وتعهدها بنفسهِ . وسقاها من عرق جبينهِ

مصطفى لطفي المنفلوطي

تغيرات البول في امراض البلدان الحارة

عنوان كتاب جديد باللغة الفرنسوية للدكتور يوسف خوري الكيماوي المعروف بالاسكندرية فاحببت ان اوافي قراء المقتطف بكلمة عنهُ على قدر ما يسمح مجال المجلة وتعدد مباحثها

ان للبول البشري تاريخاً لو اردت ان آتي عليهِ لطال بي الشرح وجاوزت الغاية من هذه السطور على ما هناك من اشياء تلذ القارىء معرفتها فان تحليل البول بالطرق العلمية لم يبدأ الاَّ في اواخر القرن التاسع عشر والطب قديم كما نعلم فقد اتى على الانسان ٢٣٠٠ سنة كان البول فيها في اوج عظمتهِ يُعرف منهُ ما شاء التصور والخيال او العقيدة والايمان ولم يكن للطبيب من وسيلة تسهل لهُ معرفة العلة وتساعدهُ على تشخيص الداء لان الطرق المستعملة اليوم للفحص كالتسمع والقرع وقياس الحرارة وغير ذلك كانت مجهولة ولم يكن من اثر لعلم التشريح وعلم وظائف الاعضاء فلم يبقَ الاَّ هذا السائل العجيب ليهتدي بهِ الطبيب

وكم محترف لهذه الصناعة بلغ من الشهرة في ذلك العصر شأواً بعيداً فكان محجة القصاد يؤمونهُ من كل صقع ونادٍ او بالاحرى يبعثون اليهِ بقوارير البول المختلفة مما تضيق بهِ دارهُ ويفسد الهواء بخارهُ وهو يحاول ان يقرأ فيها اسرار الداء ويستكشف خبايا الدواء من غير ان يتسنى لهُ فحص المريض او رؤيتهُ على الاقل. واذا لم تكن نتيجة هذه المعالجة قتل المريض فلان العقاقير لم تكن سامة على الغالب وكانت الطبيعة وحدها تتكفل بالشفاء

ولا بدع ازاء هذا الدور الذي مثَّلهُ البول في الطب ان تشتغل بهِ قرائح ذلك الجيل من شعراء ومصورين فانك لا تكاد تجد صورة طبيب لذلك العهد غير حامل بيدهِ اناء من البول ينظر اليهِ نظرة الباحث المستفهم . وهناك غير واحد من الحفارين مثَّل الطبيب وقارورتهُ على هام جدران الكنائس . وكثير من الرهبان في وحدة الاديرة اطلقوا اعنة اقلامهم في وصف الطبيب وما حمل . وكم اخرجت مدرسة « سالرن » ممن نظم قلائد الاشعار في هذا الموضوع الغريب عن كل شعر . اما اليوم فقد تغيرت الحالة كل التغير وبعد ان كان الطبيب يستند الى

ظواهر البول ويبني تشخيصهُ على اختلاف اللون والرائحة والكثافة ويلتجيء الى وسائل غريبة في بابها كمحاولتهِ معرفة السكر في البول من عدد النمل الذي يتزاحم عليهِ فتح لهُ العلم الحديث باباً واسعاً للبحث فاهتدى بالكيمياء والمكرسكوب الى تحليل البول وكشف العناصر والاملاح التي يتركب منها على نسب مختلفة ومعرفة الاسباب والاحوال التي تؤثر فيهِ كمّاً وكيفاً

وقد تعددت المؤلفات الحديثة في هذا الشأن وافاض العلماء في ذكر التأثير الذي تحدثهُ الامراض في البول على الاطلاق ولكن البحث في تأثير امراض البلاد الحارة خصوصاً لم يزل ناقصاً. ولولا رسائل ومقالات مبعثرة في الجرائد والمجلات الطبية لقلنا ان الموضوع ابن اليوم. على انهُ يحق لنا ان نقول ان كتاب تغيرات البول في امراض البلاد الحارة هو الاول من نوعهِ فقد قيَّد المؤلف اوابدهُ وجمع شتاتهُ واضاف اليهِ معلوماتهِ الخاصة وخبرة عشرين سنة قضاها في هذا القطر فجاء وافياً يخفف عن القارىء عناء البحث الطويل

ولا يتوهم القارىء مما مرَّ اننا بلغنا الغاية من فحص البول وان هذا العلم قد اعطانا كل ما في امكانهِ وانهُ بواسطتهِ فتحت علينا مغالق الطب وكشفت اسرار الامراض. كلا فاننا لم نزل في طفولتهِ ولكن من يقابل بين الزمن الماضي والخمسين سنة الاخيرة ويرى كيف درج هذا الفن من عشهِ لا يقطع الرجاء اذ يرى يوماً افقاً جديداً واسعاً لم نكد نحلم بهِ. على كل حال فان الفائدة التي نجنيها اليوم من وراء فحص البول هي عظيمة في بعض الاحوال وعلى الطبيب ان يُعنى بهِ كلما اتيح لهُ ذلك فان الاسباب الثلاثة التي يأخذ بها الطبيب لتشخيص الداء وهي المشاهدة الاكلينيكية وفحص الدم وفحص البول تتماسك على وجه تبطل معهُ الفائدة اذا اهمل احدها. وكما انهُ في بعض الاحوال يكون فحص الدم في المقام الاول من الاهمية ففي احوال اخرى تنتقل هذه الاهمية الى البول. خذ مثلاً على ذلك خرّاج الكبد فقد جاء زمن حسب فيهِ فحص الدم من لوازم التشخيص لانهم عدُّوا تكاثر الكريات البيضاء نتيجة لازمة للداء. ثم عرف بالبحث ما في الامر من المبالغة وقد قدم مؤلف هذا الكتاب تقريراً الى جمعية باريس البيولوجية اظهر فيهِ ان تكاثر كريات الدم البيضاء ليس امراً ثابتاً في خراج الكبد ولا يمكن ان يتخذ وسيلة للتشخيص لان هذه الكريات قد تبقى احياناً على حالها واحياناً تنقص

نقصاناً محسوساً مما يضيع بهِ الطبيب بدلاً من ان يهتدي. لا نقصد بذلك ان فحص البول يسد النقص ويميط اللثام عن خافي هذه العلة فالتعميم تسرُّع لامسوغ لهُ وتغيرات البول في امراض الكبد تتشابه الى درجة لا يمكن معها التسرع في الحكم دون الوقوع في خطأ. مع ذلك وجد الباحثون ان للبول تغيرات خصوصية في تقيح الكبد لا تخلو من العبرة منها نقص في افراز البولينا (urée) في حين ان المألوف زيادة الافراز لانقصهُ نظراً لارتفاع الحرارة والافراط في تغذية المريض. وقد برهن مؤلف هذا الكتاب ان النقص في افراز البولين لا يأتي في اول الداء بل عند ما يصيب التقيح كل نسيج الكبد. ولا يخفى فائدة هذه المشاهدة لانها تشجع الطبيب المعالج على اجراء العملية الجراحية حينما يكون على ثقة ان العلة لم تزل في بدايتها ونجاح العملية اكيد. ومن هنا ترى ان فحص البول لا تنحصر فائدتهُ في التشخيص بل تتناول الانذار فيستدل منهُ على سير العلة ومصيرها

وفي الكتاب المذكور امثلة عديدة على ما بيَّنا منها الحمى الصفراوية النزفية التي انتشر وباؤها في الاسكندرية سنة ١٩٠٢ فقد قدم المؤلف عنها تقريراً الى المؤتمر الطبي المصري ذكر فيهِ بين تغيرات البول نقص البولينا حتى انهُ في بعض الاحيان كانت كميتهُ لا تزيد عن ٣٨ سنتجراماً ثم تبلغ عندما يتجه المريض نحو الشفاء ٧٢ جراماً فتأمل. وزد على ذلك ان مكروب الداء موجود في البول ويسهل الوصول اليهِ بالطرق العلمية

ومنها البلهارسيا المعروفة فان بويضاتها ترى بكثرة في بول المصابين بهذا الداء. كذلك يمكن الباحث ان يرى في البول جراثيم الفلاريوز ومكروب الحمى المالطية واحياناً باشلس البرص الى آخرهِ

ويطول بنا الشرح اذا اردنا ان نبحث عن كل ما يصيب البول من التغيرات في امراض البلاد الحارة فنضطر الى ترجمة الكتاب ونحن لم نقصد إلاَّ التنويه بهِ. ومع شكري للمؤلف على ولوجهِ هذا الموضوع وهو في مكان بعيد عن الحركة العلمية يتعذر فيهِ المطالعة والرجوع الى المصادر التي لا غنى عنها لمن يحاول تأليفاً مثل هذا فاني ارجو منهُ ان لا يقف عند هذا الحد بل يتوسع فيما بدأ بهِ ويملأ في الطبعة التالية الفراغ الذي لا مناص من وقوعهِ في اول كل عمل وذلك خدمة للمرضى وللاطباء

الاسكندرية الدكتور فياض

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيبا في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذ الاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج من موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) والمناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيما كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستخار على المطوّلة

التنويم المغناطيسي والاعتقاد

سيدي العلامة المفضال

لو جاز لي ان اتداخل في مسألة التنويم المغناطيسي وابدي رأياً لقلت ان اعتقاد المنوم انهُ قادر على التنويم ليس بضروري لاجراء التنويم وذلك انني منذ ثلاث سنوات زرت أحد اصدقائي وكان لهُ اخ في نحو الثانية عشرة من عمرهِ وهو مملوء صحة وعافية فطلب مني ان انومهُ لانهُ ظن بي المقدرة على ذلك وكنت قرأت كتاب رشدي بك وتلقيت بعض طرق ومعلومات عن التنويم في المدرسة فهممتُ بتنويمهِ على سبيل المداعبة وكان وهو جالس امامي يكثر من الضحك ولكن رغماً من هذا رأيتهُ تغير لونهُ ودمعت عيناهُ فزجرتهُ وقلت لهُ يكفيك ذلك فارعوى ولكنهُ عاد ثانية وقال انك لست بقادر على التنويم ولذلك زجرتني فاجلستهُ ثانية ولما رأيت امارات النوم بادية عليهِ قلت لهُ والآن قم ودع النوم جانباً فامتثل ولكن سرعان ما استراح حتى أخذ بالضحك والسخرية من التنويم والمنومين فقلت لهُ اذاً أنت مصمم على ان تنام قال ان استطعت فاجلستهُ على الكرسي ونظرت اليهِ من ورائهِ خلافاً للمرتين السابقتين حيث كنت جالساً امامهُ وجهاً لوجه وفي هذه المرة الاخيرة اثرت فيهِ بسرعة عظيمة فلم يملك نفسهُ ان نام نوماً عميقاً جعلني استغرب ذلك كثيراً ولا اكاد اصدق ما حصل وشاركني اخوهُ في الاستغراب واخذ في ايقاظهِ بطرق عديدة واستعمل معهُ الشدة والقسوة فلم يفلح ولاجل الاطمئنان نخستهُ بالدبوس فلم يتحرك ولم يتألم كما اخبرني

بذلك واذكر انني كلفتهُ قراءة عنوان مكتوب فقرأ نصفهُ (مع انهُ كان مغمض العينين والمكتوب كان موضوعاً على جبهته) وظهرت عليهِ آثار التعب الشديد والتألم ولم يستطع اتمامها وكاد يبكي فقلت لهُ حسبك وطلبت منهُ ان يذهب ويغسل وجههُ من الحنفية فذهب غير هياب وهو مغمض العينين وغسل وجههُ فعلا وكان يطيعني طاعة تامة ويأتمر بجميع اوامري ولا يطيع احداً الاَّ اذا امرتهُ بذلك

وقعت هذه الامور كلها بينما كنت اجدني غير مقتنع تماماً ان هذا يرجع الى تأثيري فيهِ وظهرت امارات قلة ثقتي بنفسي عند ما أردت ايقاظهُ فكان يوهمني انهُ مستيقظ ولكن لا يلبث ان يعود الى نومهِ واخيراً قلت لهُ يظهر انك تعبت كثيراً فقال نعم قلت اتحب ان تستمر في نومك قال هذا ما ابغي قلت كم يكفيك قال ساعة الاَّ ربعاً قلت حسبك نصف ساعة قال وهو كذلك قلت افهمت جيداً ما أقول فيجب ان تستيقظ بعد نصف ساعة وتبادر الى تناول الغداء قال سأفعل ذلك. وعند ذلك نزلت وتركتهُ وأنا في اضطراب شديد خشية ان لا يصدع بأمري او ان يصاب بشيء من التشنج وكان من قلق اخيهِ انهُ لم يتركني انزل وحدي بل تبعني لارجع معهُ في الميعاد المعين خوفاً على اخيهِ . لذلك عدنا بعد الميعاد بخمس دقائق فنزل هو بنفسه وفتح لنا الباب وهو يمضغ ما كان في فمهِ. عندذلك ذهب روعي وحمدت الله

ان هذه الحادثة وان كانت فردية جعلتني اتسرع في الحكم والاستنتاج الذي قدمتهُ وقد بعثت بها اليكم لتكون شبه ملحوظة على القسم الاخير من جواب السوال الخامس المدرج في عدد مارس سنة ١٩٢٠ من مجلتكم الغراء

« ملحوظة » لا زلت اكرر انني اثناء عملية التنويم لم اكن احس من نفسي المقدرة وانما كنت اجري هذه العملية على سبيل الفكاهة وقد فوجئت مفاجأة بنومهِ وهذا موضع الاستغراب

محيي الدين رضا

البحث في باحثة البادية

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف الاغر

انني معجب كل الاعجاب بآراء الآنسة مي التي تنشرها في المقتطف عن باحثة البادية وقاسم بك امين غير انهُ يسوءني ان لا يطلع كل الناطقين بالضاد على هذه

المقالات النفيسة فارجو ان تقترحوا عليها جمع هذه المقالات وطبعها حتى تعم الفائدة المطلوبة منها كما واننا نرجو ان لا تكتفي « باحثة الشرق » بما كتبت في شأن المرأة اذ اننا ننتظر منها ان تواصل السعي في الاخذ بيد المرأة الشرقية الى ان تقوى وتستطيع كسر الاغلال والاصفاد الموضوعة في عنقها ويديها وتخلص من ذلك الاستعباد الفظيع الذي تنوء تحت عبئهِ الثقيل. ولا نظن ان «الباحثة» ترضى بترك اخواتها على ما هن عليهِ والسلام طنطا حبشي ميخائيل

(المقتطف) لقد خطر لنا ما خطر لكم من حيث جمع هذه المقالات النفيسة وطبعها في كتاب على حدة فالتمسنا منها ذلك فاجابت التماسنا. والمقالات تطبع الآن في مطبعة المقتطف وستخرج بعد نحو شهر من الزمان كتاباً حاوياً لكل ما كتبتهُ المؤلفة في هذا الموضوع

مسائل المقتطف

حضرات المحترمين اصحاب المقتطف الاغر

بعد السلام ان المتتبع لما ينشر في باب الاسئلة والاجوبة الذي يتضمنهُ كل عدد يصدر من المقتطف لا يسعهُ الاَّ ان يعجب بالمقدرة العلمية والكفاءَة الفلسفية التي يجيب بها محرر المقتطف على كل سؤال يوجه اليهِ فمن طب الى زراعة الى فلك ومن فلسفة الى تربية الى اخلاق وغير ذلك كثير يتنقل هذا المحرر ليجيب اجابات ثابتة في الصواب ونهاية في الحكمة على ان هذه الاجوبة السديدة المبعثرة في ثنايا المقتطف منذ ظهوره يصح لو جمعت ورتبت ثم بوبت وطبعت في كتاب — ان تكون مجموعة قيمة دائمة الاثر عميمة الفائدة وعندي انها ستكون كتاباً جليل القدر من خير ما اخرجتهُ العقول النضجة والاذهان اليقظة في هذا الزمان

لكل ذلك اقترح عليكم انفاذ هذا العمل والامل ان تعيروا هذا الاقتراح ما هو جدير بهِ من العناية وتفضلوا بقبول احترام احد المعجبين بمباحث المقتطف العلمية والادبية دمنهور محمد البسومي

(المقتطف) نرفع اليكم جزيل الشكر على حسن ظنكم بنا . اما جمع المسائل وغيرها من الابواب في كتب خاصة فما نودُّ ان نفعلهُ بانفسنا ولكن العمر قصير والصناعة طويلة فلا بدَّ من تركهِ الى غيرنا وحبذا لو تمَّ ذلك في حياتنا

جواب السؤال

الوارد في مقتطف فبراير

(١)

اما قول البحتريّ

منى النفس في اسماء لو يستطيعها   بها وجدها من غادة وولوعها

فيحتاج في إِيضاح معناه ُالى شيء من الدقة في إِرجاع الضمائر. فانَّ قولهُ لا يستطيعها يريد بهِ لو يستطيع المحبُّ اسماء اي بارجاع الضمير المنصوب لاسماء والمرفوع المستتر للمحبّ وقد كنَّى عنهُ ولم يسبق لهُ ذكر كما فعل لبيد في قولهِ

حتى اذا القت يداً في كافر   وأجنَّ عورات الثغور ظلامها

فانهُ اراد حتى اذا أَلقت الشمس يداً في الليل اي غربت ولم يجرِ للشمس ذكر في كلامهِ. وكقول العبَّاس بن عبد المطَّلب

من قبلها طبتَ في الظلال وفي   مستودَع حيث يُخصف الوَرَقُ

اي من قبل الارض يريد من قبل وجودك في الارض وهو مما لا يتحاشى عنهُ الفصحاء متى كان المعنى واضحاً ووقع منهُ شيءٌ في الكتاب العزيز. ولا يمتنع أن يقال لا تستطيعها بعود الضمير المرفوع للنفس ولكنَّ الرواية الاولى هي الواردة في نسخ ديوانهِ والمعروفة في كتب الادب

ومعنى الشطر الثاني أنَّ وجد هذه النفس وولوعها باسماء برجوع الضمير في وجدها وولوعها للنفس وفي بها لاسماء. ومن غادةٍ تمييز مجرور بمن كما في قول امرىء القيس

فيا لك من ليلٍ كأَنَّ نجومهُ   بكلّ مُغار الفتل شُدَّت بيذبلِ

اي فيا لك ليلاً. وقول جميل

ثلاثة ابيات فبيت احبهُ   وبيتان ليسا من هواي ولاشكلي

الا ايها البيت الذي حيل دونهُ   بنا انت من بيت واهلك من اهل

والشواهد عليهِ كثيرة

والبيت كما لا يخفى قلق التركيب ولا ادري ما الذي اوقع البحتريَّ فيهِ مع ميله للسهولة وحسن البيان. وقد يخيل لمن عرف سلاسة عبارتهِ ونقاء الفاظهِ

انهُ تعمَّد ظلم هذه القصيدة على ما فيها من الجيد فلم يكفهِ هذا التكلف في افتتاحها حتى قرن العين بالهاء في قوافيها فالحقها بالعُهْعُخ المعروف عند البيانيين . ويروى انهُ لما انشدها المتوكل لم تعجبهُ وقال لم يزل هذا الفتى يقول عهاعها حتى غثث نفوسنا او كلاماً هذا معناهُ . على انَّ هذه الكبوة هيهات ان تغضَّ من محاسنه الكثيرة او تقدح في شاعريته التي استحقَّ لقبها دون الشيخين وحسبك قول الثعالبيّ امام نَقدة الشعر من ابيات يمدح بها ابا الفضل الميكاليّ

لك في الفضائل معجزات جمة   ابداً لغيرك في الورى لم تجمع
بحران بحر في البلاغة شابه   شعر الوليد وحسن لفظ الاصمعي

اما شروح ديوانهِ فليس بين ايدينا منها غير عبث الوليد للمعرّيّ وما هو بشرح ولكنهُ تعليقات اراد اثباتها على نسخة من الديوان ثم بدا لهُ افرادها في كتاب لضيق الحواشي عنها وهي في انتقاد مواضع منهُ او تصحيح خطإٍ للناسخ . غير انهُ قد يتناول بعض الابيات بالشرح في اثناء كلامهِ وليس هذا البيت منها . وفي طبقات الشافعية للسبكيّ انّ لعبد الله بن ابراهيم المعروف بابي حكيم الخبريّ شرحاً على هذا الديوان وقد ذكرهُ ايضاً صاحب كشف الظنون وزاد ان للحسن ابن بشر الآمديّ كتاباً في معاني شعر البحتريّ واخشى ان يكون اراد الموازنة. وفي خزانة عاشر افندي بالاستانة شرح على هذا الديوان لم يذكر اسم مؤلفهِ بالفهرس فلا ادري اهو احد الشرحين المذكورين ام شرح ثالث . وعلى اي حال فنحن في اشدّ حاجة اليهِ ولكن اين الثريا من يد المتناول . ولا تخلو موازنة الآمديّ من فوائد تعين على تفهم بعض الابيات ولكن يلاحظ ان النسخة المطبوعة في الجوائب ليست الاَّ النصف الاول فقط . وفي دار الكتب السلطانية بالقاهرة نسخة تامة في مجلدين

(٢)

واما قول ابي تمام

كم احرزت قُضُبُ الهنديّ مصلتةً   تهتزّ من قضب تهتزّ في كثب

فالصواب فيه (كُثُب) بضمتين جمع كثيب كما ذهب اليه الكاتب الفاضل صاحب السؤال وهو من بائيتهِ المشهورة في فتح عمورية ومرادهُ بالقضب الاولى السيوف لانهُ يقال للسيف الدقيق القليل العرض قضيب وبالقضب الثانية الاغصان مشبهاً بها

القدود والمعنى انَّ هذه السيوف وهي مجرَّدة تهتزّ في الايدي قد اسرت نساء كثيرات وعبَّر عنهنَّ بقضب تهتزّ في كثب اي بقدود كالاغصان تهتزّ في اعجاز كانقاء الرمل

واما شروح ديوانهِ فعندنا منها اثنان احدهما للصولي ينقص قليلاً بعد الورقة الاولى والآخر للتبريزيّ وهو تامّ في مجلدين. ولهُ شروح اخرى مفقودة لا فائدة من ذكرها

(٣)

واما كتابة الذي والذين والتي بلام واحدة دون غيرها فقد عللوهُ بكثرة الاستعمال ولهم تعليلات اخرى لا تخلو من نظر والظاهر انهُ مجرَّد اصطلاح في الرسم جروا عليه

احمد تيمور (باشا)

الاسمدة النترجينية

سيدي محرر المقتطف

قرأت مقالاً بمقتطف فبراير عن الازوت ومركباتهِ ويا حبذا لو تكرمتم بنشر ملحوظاتي الآتية على المقال المذكور وتقبلوا فائق احتراماتي

(١) ذكرتم ان تشارلس برادهي الاميركي هو اول من تمكن من جعل نتروجين الهواء يتحد باكسجينه على اسلوب تجاري باستعمال الكهربائية المتولدة من شلال نياغرا وقلتم ان كيماويين نروجيين تناولا هذا الموضوع وصنعا من نتروجين الهواء والحجارة الكلسية سماداً سميتموهُ بسيناميد الجير. والذي نعلمهُ ان السماد الذي يصنع بهذه الطريقة هو نترات الجير ويحضر عادة بتمرير تيار من الهواء في فرن كهربائي يعمل لهذا الغرض فيتحد عنصرا الاكسجين والنتروجين ويتكون من اتحادهما غاز اكسيد النتريك وبمرور هذا الغاز على اكسجين الهواء وبخار الماء خارج الفرن يتكون مخلوط من حمض النيتروس والنيتريك فاذا اضيف اليهما لبن الجير يتكون مخلوط من نترات ونيتريت الجير والاخير منهما يتحول الى نترات بحمض النيتريك الموجود في الذوب على حالة انفراد ثم يترك المحلول ليتبخر فيجف ويتصلب ويكون السماد المصنوع بهذه الكيفية محتوياً على ١٣ ./. من النيتروجين ويشترط لصنع هذا السماد وجود قوة مائية كافية لتوليد الكهربائية اللازمة لمثل هذا العمل

(٢) ذكرتم ان الالمان صنعوا السماد المسمى بالسيناميد من غير قوة مائية وذلك بتمرير غاز الازوت على كربيد الكالسيوم فكيف استطاع علماء الالمان من جعل الكربون والكالسيوم يتحدان بغير الكهربائية التي هي الاساس لتحضير مثل هذا السماد ولا يمكن اقتصادياً صنعهُ الاَّ اذا توفرت القوة المائية الكافية لتوليد الكهربائية

(٣) ذكرتم ان الحكومة المصرية فكرت في استخدام قوة شلال اصوان لتوليد الكهرباء وعمل هذا السماد اي سيناميد الجير مع ان عنصر الكربون وهو العنصر الاساسي في صنع هذا السماد غير موجود بالبلاد المصرية والذي نعلمهُ ان السماد الذي فكرت الحكومة في صنعهِ هو نترات الجير السابق ذكرهُ وياحبذا لو عنيت الجمعية الزراعية بهذا المشروع الحيوي فانهُ لا يكلفها نفقة تذكر فضلاً عن توفيرهِ للبلاد ما لا يقل عن نصف مليون من الجنيهات وهي قيمة مقادير نترات الصوديوم التي ترد للقطر سنوياً

محمود ذو الفقار الكاشف

الزقازيق مساعد مفتش بالجمعية الزراعية السلطانية

(المقتطف) نشكركم على ما جاء في انتقادكم فقد نبهنا الى خطإٍ وقع في تلك المقالة ولولم تشيروا اليه وهو ان عبارة كيماوية سقطت منها ولم ننتبه لها عند قراءة المسودات. اما ما ذكرتموهُ فنجيب عنهُ اولاً ان الذي يصنع في نروج حسب طريقة فرنك وكارو هو سياناميد الكلسيوم الذي عبارتهُ الكيماوية كلس ن كرن وذلك باحماء كربيد الكلسيوم باتون كهربائي في جوٍ من النتروجين وهذه عبارة التحليل والتركيب كل كر$_{٢}$ + ن$_{٢}$ = كلس ن كرن + كر (انظر كيميا بلكسم ولويس الطبعة العاشرة سنة ١٩١٣ صفحة ٧٣٩). وقد ابتعنا منذ سنوات سماداً من الجمعية الزراعية قيل لنا حينئذٍ انهُ سياناميد الجير وانهُ من نروج فاستعملناهُ في اطياننا وهذا ما اشرنا اليهِ في المقالة السابقة

وثانياً اننا لم نقل ان الالمان صنعوا «السياناميد من غير قوة مائية» بل قلنا ان القوة المائية قليلة في المانيا ومفاد الكلام هناك انهم اكتفوا بالكهربائية القليلة المتولدة منها كما يظهر لكم بالمراجعة وهذا اكتشاف جديد لهم

وثالثاً اننا لم نقف على تقرير المهندسين الذين بحثوا فيما يمكن الانتفاع بهِ

من شلال اصوان ولكننا نتذكر انهُ شاع حينئذٍ انهُ يراد عمل السماد من نتروجين الهواء والحجارة الكلسية التي هي كربونات الكلس. وسنبحث لنقف على الحقيقة

اما الخطأ الذي انتبهنا لهُ الآن فهو في عبارة كيماوية سقطت من اوائل الصفحة ١٠٠ وهي $\text{كلس كر}_{٢} + \text{ن}_{٢} = \text{كلس كر ن}_{٢} + \text{كر}$. اي كربيد الكلسيوم مع النتروجين يكونان سياناميد الكلسيوم مع كربون. ومحلها تحت العبارة الكيماوية المذكورة هناك

مسخ برأسين وعنقين

دعيت صباح ٢٤ فبراير سنة ١٩٢٠ لحادثة ولادة عسرة بناحية ميت خيرون في مركز المنصورة فلما وصلت فحصت الوالدة فوجدت انها في مخاض من ثلاثة ايام مضت عمرها عشرون سنة وكانت في العام الماضي قد وضعت وضعاً طبيعيًّا وكان مولودها تام التكوين والخلقة ووجدت درجة حرارتها طبيعية ونبضها سريعاً وغير ضعيف. وعند فحصها وجدت بارزاً رأس جنين محتقناً جدًّا ولم يكن بالشريان الوجهي نبض وقيل لي ان الجنين لم يتحرك منذ ست ساعات. وبالجس لم اتمكن من ادخال الاً اصبعين وظننت ان الكتف مندغمة في عرض الحوض وعاودت الجس من البطن فلم أشعر الاً بجسم صلب ولم أتمكن من تحويل الجنين او تحريكهِ وبعد صعوبة اخرجت ذراعاً وجذبت الرأس فلم يخرج الجنين فقطعت العنق واجريت عملية التحويل فلما خرج الجسم عقبتهُ عنق اخرى غير المبثورة وعليها الرأس تام التكوين. والام صحتها جيدة ومدة اشهر هذا الحمل تامة ولم تشعر بشيءٍ غير عادي اثناء الحمل. ووجدت ان لهذا المسخ سلسلتين فقريتين كما يرى في الشكل ولهُ صدر واحد وبطن واحد ويدان ورجلان واصابع اليدين والقدمين تامة ولا وجود لفتحة الشرج

ويظهر ان هذه الحالة هي حالة مسخ مزدوج من نوع ذي الرأسين (Dicephalous) والاصل فيها انهُ كان سيخلق من بويضة واحدة توأمان فاتحدا عند الكتفين ويعسر تشخيص هذه الحالة الاً عند الوضع

الدكتور محمد زكي شافعي
في المنصورة

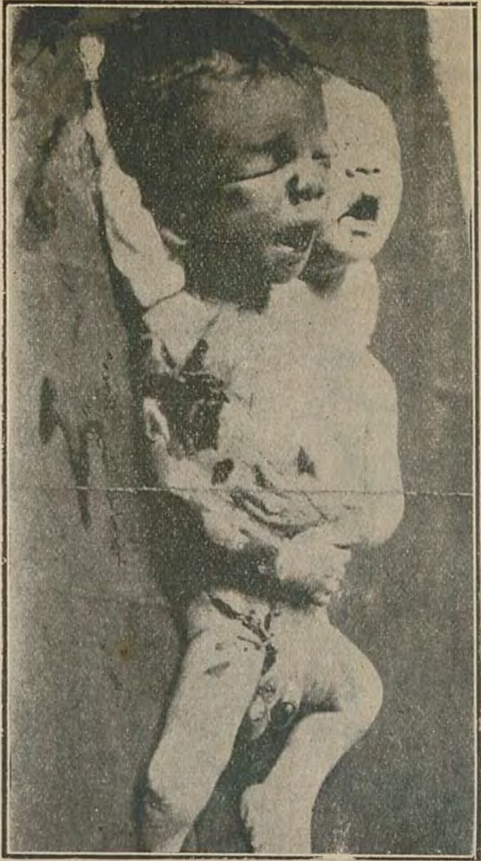

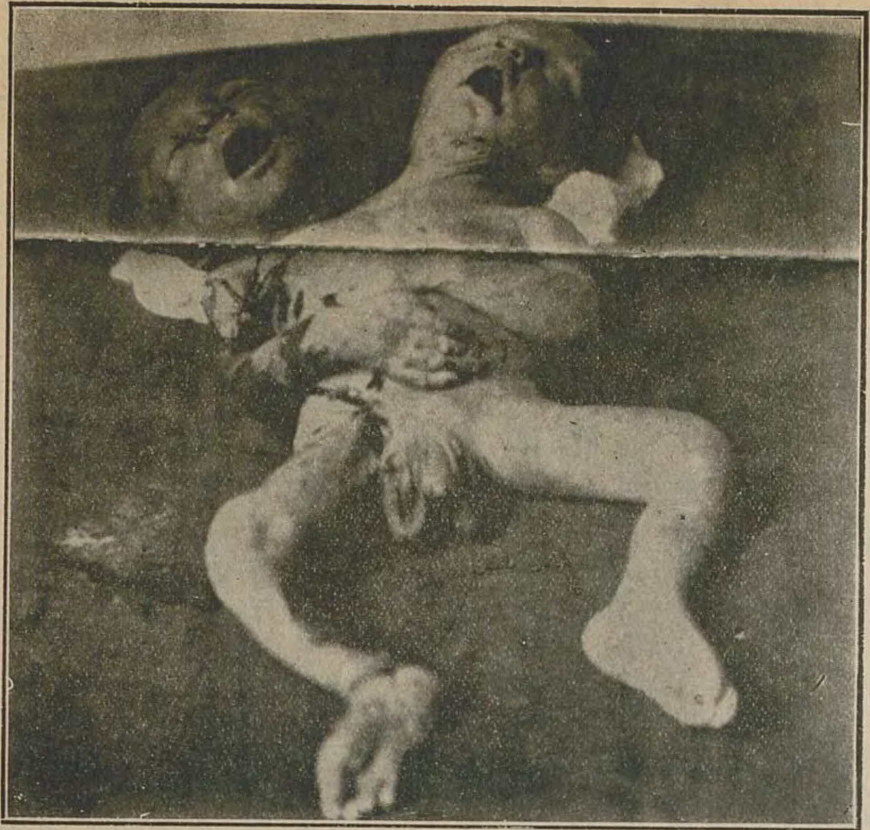

كانت الصورة الفوتوغرافية مطوية فظهر فيها هذا الخط في اعلى الصدر

مقتطف ابريل ١٩٣٠
امام الصفحة ٣٦٦

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

النساء وازياؤهنَّ

خطبت الدكتورة كلون تشسر الانكليزية في معهد الهيجين بلندن فقالت ان دعوى الناس بان الملابس تزيّن النساء دعوى فاسدة لا افسد منها الاَّ دعواهم بان المرأة اجمل منظراً من الرجل . ففي جميع العالم الحيواني ترى الانثى اقلّ جمالاً من الذكر واقلّ تأثراً بالزينة الشخصية منهُ. خذ الطير مثلاً فذكر الطاووس والبط البري اجمل منظراً من الانثى. ولا غرض للباس الاَّ مساعدة الجسم على الوقاية من الحر والبرد على السواء بلبس مواد غير موصلة للحرارة. وازياء اللباس تتوقف على الاقليم والعصر والخواص التي تميّز الامم والشعوب بعضها عن بعض. قالت « وقد اصاب الوعاظ واهل الادب العالي في ذمّ الملابس التي يبدو فيها الظهر عارياً والكعوب مكشوفة »

ومما قالتهُ ايضاً انها وجدت بالاختبار ان اولاد الفقراء في انكلترا اكثر ملابس من اولاد الاغنياء . فقد رأت من اولاد الفقراء في المدارس من كانوا يلبسون ١٣ قطعة من اللباس في حين ان بنات الاغنياء يلبسن قطعتين فقط في الحفلات المسائية . ومن الامهات من يلبسن اولادهنّ بذلة واحدة في اكتوبر ولا ينزعنها عنهم قبل شهر مارس فلا يبدلنها ولا يغسلن الاولاد هذه المدة كلها. قالت « والواجب ان لا يزيد متوسط القطع التي تلبس دفعة واحدة على خمس وان تكون واسعة وخفيفة وكثيرة المسامّ لان الثياب الضيقة تعوق الدورة الدموية وتسبب تضخم الاوردة وغير ذلك من الآفات الطبيعية فضلاً عن سوء خلق لابسها. واذا وجدت النساء انفسهنّ في مستوى واطئ عقليًّا وروحيًّا اي اذا غلبتهنّ السوداء وتولتهنّ السآمة فليبدلن في معيشتهنَّ وليشترين اشياء رخيصة جميلة ولو بعن اشياء غالية قديمة فان برنيطة جديدة قد تكون اكثر تنبيهاً لهنَّ وتقوية لاجسامهنّ من عقاقير الصيدلي »

كم نعيش

وضع الدكتور فار الانكليزي الجدول الآتي لبيان المدة التي ينتظر ان يعيشها الناس ذكوراً واناثاً من ولادتهم الى ان يبلغوا المئة من سنهم . وحسب ان متوسط ما يعيشهُ الذكر ٣٩٫٩١ من السنة والانثى ٤١٫٨٥ . وقد اهملنا معظم الكسور التي فيهِ واهملنا سنّ الانثى مع العلم بانها تزيد قليلاً على سن الذكر نحو سنتين في الطفولة الى نحو شهر في آخر العمر

السن	العمر المنتظر	السن	العمر المنتظر
٠	نحو ٤٠ سنة	١٨	نحو ٤٠ سنة
١	« ٤٦	١٩	
٢	« ٤٨	٢٠	« ٣٩
٣	« ٤٩	٢١	« ٣٨
٤		٢٢	
٥		٢٣	« ٣٧
٦		٢٤	« ٣٦
٧	« ٤٨	٢٥	« ٣٦
٨		٢٦	« ٣٥
٩	« ٤٧	٢٧	« ٣٤
١٠		٢٨	
١١	« ٤٦	٢٩	« ٣٣
١٢	« ٤٥	٣٠	« ٣٢
١٣	« ٤٤	٣١	
١٤	« ٤٣	٣٢	« ٣١
١٥		٣٣	« ٣٠
١٦	« ٤٢	٣٤	
١٧	« ٤١	٣٥	« ٢٩

تابع ما قبله

السن	العمر المنتظر	السن	العمر المنتظر
٣٦ ٣٧	نحو ٢٨ سنة	٥٨ ٥٩	نحو ١٤ سنة
٣٨	» ٢٧	٦٠	» ١٣
٣٩ ٤٠	» ٢٦	٦١ ٦٢	» ١٢
٤١	» ٢٥	٦٣ ٦٤	» ١١
٤٢ ٤٣	» ٢٤	٦٥ ٦٦	» ١٠
٤٤	» ٢٣	٦٧ ٦٨	» ٩
٤٥ ٤٦	» ٢٢	٦٩ ٧٠ ٧١	» ٨
٤٧	» ٢١	٧٢ ٧٣	» ٧
٤٨ ٤٩	» ٢٠	٧٤ ٧٥ ٧٦	» ٦
٥٠	» ١٩	٧٧ ٧٨ ٧٩	» ٥
٥١ ٥٢	» ١٨		
٥٣ ٥٤	» ١٧		
٥٥	» ١٦		
٥٦ ٥٧	» ١٥		

تابع ما قبلهُ

السن	العمر المنتظر	السن	العمر المنتظر
٨٠	٤	٩٠	٣
٨١		٩١	
٨٢		٩٢	
٨٣		٩٣	
٨٤	٣	٩٤	
٨٥		٩٥	
٨٦		٩٦	
٨٧		٩٧	٢
٨٨		٩٨	
٨٩		٩٩	
		١٠٠	

قلنا اننا اهملنا الكسور لزيادة بسط الجدول . ولايضاح ذلك نقول اننا اكتفينا مثلاً بوضع الرقم ٢ مقابل سنّ ٩٧ و٩٨ و٩٩ و١٠٠ وغنيٌ عن البيان انهُ كلما تقدم المرء في السن ضاقت فسحة الاجل الذي امامهُ فابن ٩٧ ينتظر ان يعيش اطول مما يعيش ابن ٩٨ وهذا اطول مما يعيش ابن ٩٩ وهذا اطول مما يعيش ابن ١٠٠.وفي الجدول الاصلي قدّر ان ابن ٩٧ يعيش ١٩٩٥ من السنة . وابن ٩٨ يعيش ١٩٨٥ . وابن ٩٩ يعيش ١٧٧٦ . وابن ١٠٠ يعيش ١٦٦٨ . فاكتفينا بالرقم ٢ اذ لا فائدة من التدقيق في هذا الباب ولاسيما انهُ مبنيٌ على مجرّد التخمين والتعديل

باب الزراعة

الترمس لعلف المواشي

ستكون مسألة العلف من المعضلات لغلاء الفول ولان الاطيان التي تزرع فولاً يمكن زرعها قمحاً وهو من الزم اللوازم لطعام الناس . وقد قرأ احد علماء الزراعة مقالة في مجمع تقدم العلوم البريطاني موضوعها الترمس وكونهُ يصلح الارض الضعيفة ويمكن تعليف المواشي بهِ اذا نزعت منهُ المادة المرة السامة بالبل بالماء وتغيير الماء مراراً كما يفعل بائعو الترمس في هذا القطر

ولا يخفى ان الترمس يجود في الاراضي الرملية الضعيفة على شرط وصول المياه اليها . والامران متوفران في القطر المصري فالاراضي الرملية الضعيفة كثيرة ولاسيما على جوانب النيل حيث يسهل ايصال المياه اليها وقد زرعناهُ مرةً في ساحل رملي فبلغ محصول الفدان منهُ نحو ستة ارادب

وقد اثبت البارون فون ناثوسيوس العالم الزراعي ان الترمس وتبنهُ من افضل انواع العلف للغنم ووجد في الترمس من المواد الكيماوية ما يأتي

ماء	من	١٤	الى	١٥	في المائة
مواد دهنية	«	٦	«	٧	« «
مواد نتروجينية	«	٣٣	«	٣٦	« «
نشا	«	٢٦	«	٣٠	« «
الياف خشبية	«	١١	«	١٢	« «
موادمعدنية	«	٣	«	٤	« «

ولكن لا يحسن اطعام الترمس للمواشي وهو مرٌ الاَّ اذا كان مقدارهُ قليلاً جداً لان فيهِ مادة سامَّة تسمها لكن هذه المادة تزول من الترمس بنقعهِ وصب الماء عنهُ مراراً وطريقة ذلك ان يصنع حوض كبير من الخشب المبطن بالزنك ويوضع الترمس فيهِ ويصب عليهِ ماء يغمرهُ ويترك فيهِ ٢٤ ساعة ثم يخرج الترمس

منهُ ويوضع في حوض ثانٍ فيهِ ماءٌ نقي ويترك فيهِ ١٢ ساعة ثم يخرج من هذا الحوض ويوضع في حوض ثالث فيهِ ماءٌ نقي ١٢ ساعة اخرى فتزول منهُ المادة المرَّة السامة ويصير صالحاً للعلف

ويحسن ان يجفف الترمس بعد ازالة المادة المرة منهُ ثم يجرش وقت تعليف المواشي بهِ

ثم ان لزرع الترمس فائدة اخرى وهو انهُ يصلح الارض الضعيفة كما يصلحها الفول والبرسيم لانهُ يتناول النتروجين من الهواءِ ولان جذورهُ تمتد في الارض وتفككها . والارض التي يجود فيها قلما تجود فيها زراعة اخرى

نقص محصول القطن من تقرير المستر بلو

وعدنا في الجزء الماضي ان نلخص ما ذكرهُ المستر بلو عن الاسباب التي دعت الى نقص متوسط محصول الفدان من القطن وهي اولاً زيادة مياه الري وثانياً زرع اصناف جديدة من القطن وثالثاً الحشرات التي تسطو على القطن ورابعاً نقص المواشي وخامساً اتعاب الارض بتكرار الزرع

اما السبب الاول اي زيادة مياه الري ففعل بتقليل المحصول لان الصرف في الوجه البحري لم يزد كما زادت مياه الري فزادت رطوبة الارض في طبقتها السفلى وقلَّ خصبها هذا من الجهة الواحدة ومن الجهة الاخرى زُرع القطن في كثير من الاراضي البور التي اصلحت حديثاً وهذه محصولها قليل جدًّا اثرت قلتهُ في متوسط المحصول العام بدليل ان المتوسط لم يقل في الوجه القبلي لان الاطيان التي جدَّ زرع القطن فيها كانت من الاطيان الزراعية الجيدة

والسبب الثاني اي زرع الاصناف الجديدة قال فيهِ ان القطن الذي كان يزرع اولاً هو الاشموني ودام الاعتماد عليهِ من سنة ١٨٧٠ الى ان شاع الميت عفيفي بين سنة ١٨٨٢ و ١٨٨٥ وصار الاعتماد عليهِ في الوجه البحري والمرجح ان محصولهُ كان كثيراً فزاد بهِ متوسط محصول الفدان بين سنة ١٨٨٦ و ١٨٩٧ وبقي اكثر الاعتماد في الوجه البحري على الميت عفيفي الى عهد قريب ثم ظهر السكلاريدس سنة ١٩١١ وصار ٢٦ في المائة من القطن الذي زرع في القطر

المصري سنة ١٩١٤ و ٧٩ ½ في المائة سنة ١٩١٦ و ٨٦ ½ في المائة سنة ١٩١٧ او ٦٧ في المائة من كل القطن الذي زرع في القطر المصري حينئذٍ كما ترى في الجدول التالي

السنة	عموم المساحة في القطر	الميت عفيفي في المائة	السكلاريدس في المائة	اليونفتش في المائة	الاشموني في المائة
١٩٠٥	١٥٦٦٦٠٢	٧٣٫٧	٠٠	٤٫٦	١٨٫٨
١٩٠٦	١٥٠٦٢٩١	٧٧٫٣	٠٠	٥٫٦	١٤٫٩
١٩٠٧	١٦٠٣٢٢٤	٦٦٫٦	٠٠	٩٫٧	١٨٫٧
١٩٠٨	١٦٤٠٤١٥	٥٩٫٩	٠٠	١٤٫٥	١٩٫٧
١٩٠٩	١٥٩٠٠٠٠	٦٥٫٩	٠٠	١٢٫٤	١٥٫٨
١٩١٠	١٦٤٢٦١٠	٦١٫٦	٠٠	١٢٫٧	١٧٫٧
١٩١١	١٧١١٢٤١	٤٩٫٤	٧٫٩	١٤٫٧	١٩٫٣
١٩١٢	١٧٢١٨١٥	٤٠٫٢	١١٫٥	١٣٫٩	٢٠٫٠
١٩١٣	١٧٢٣٠٩٤	٣٦٫٢	١٤٫٤	١٠٫٠	٢٠٫٧
١٩١٤	١٧٥٥٢٧٠	٢٦٫٦	٢٢٫٤	٧٫٣	٢٠٫٢
١٩١٥	١١٨٦٠٠٤	١٧٫٧	٤٦٫٢	٢٫٤	١٩٫٦
١٩١٦	١٦٥٥٠١٢	٨٫٥	٦٢٫٣	٠٫٣	٢٨٫٠
١٩١٧	١٦٧٧٠٠٠	٥٫٧	٦٧٫٦	٠٫١	٢١٫٦
١٩١٨	١٣١٦٠٠٠	٢٫٧	٧٢٫٤	٠٫١	٢٠٫٨

وزاد الاعتماد على السكلاريدس مع ان محصولهُ اقل من محصول الميت عفيفي لان نوعهُ اجود وهو ابكر نضجاً فيسلم على نوع ما من الدودة القرنفلية

والسبب الثالث الحشرات وهي اربعة انواع دودة القطن المسماة علمياً Prodenia lituria ودودة اللوز المسماة Earias insulana والحشرة التي تلطخ القطن وهي المسماة Oxycarenus hyalini pennis ودودة اللوز القرنفلية Gelechia gossypiella

كتب المستر فودن سنة ١٩١٠ ان دودة اللوز اكبر اعداء القطن فانها اضرُّ بهِ من الدودة التي تأكل ورقهُ لان ضرر هذه لا يكون كبيراً الاَّ في سنين متباعدة ويمكن مقاومتها اما دودة اللوز فلم تكشف حتى الآن طريقة لمقاومتها اذا زاد انتشارها

اما دودة القطن اي الدودة التي تأكل ورق القطن فقد قال المستر فودن ان ضررها زاد في بعض السنين حتى بلغ ملايين من الجنيهات لكن ذلك نادر ومتوسط ضررها قليل لا يعبأ بهِ

والحشرة التي تلطخ القطن وهي نوع من البق ضررها قليل ايضاً ولذلك لم تهتم الحكومة باستئصالها بل حصرت اهتمامها بدودة الورق ودودة اللوز الى ان انتشرت الدودة القرنفلية . وكان ضرر دودة الورق ودودة اللوز على اشدّهِ سنة ١٩٠٥ وحينئذٍ بلغ المحصول ٦٠٠٠ ٠٠٠ قنطار ومتوسط محصول الفدان ٣و٨٠ وسنة ١٩٠٩ حينما بلغ المحصول ٥٠٠٠ ٠٠٠ قنطار فقط ومتوسط محصول الفدان ٣و١٣. اما سنة ١٩٠٦ فكان ماء الري قليلاً واما سنة ١٩٠٩ فكان الماء غزيراً وسار المحصول سيراً حسناً الى ان جاء الفيضان وكان عالياً جدًّا فزاد تشبع الارض بالماءِ واصاب المحصول ضرر كبير من جراءِ ذلك بوقوع اللوز

اما الدودة القرنفلية فهي السبب الاكبر لقلة المحصول في السنوات الاخيرة

ثم ان لعدد المواشي شأناً كبيراً في كل بلاد زراعية ولاسيما اذا كانت الزراعة متكررة كما في القطر المصري يحتاج فيها الى السماد الكثير لكي لا يقل خصبها. فانهُ لما كانت الزراعة من نوع زرع الحياض كان طمي النيل يغني الارض عن السباخ البلدي اما وقد صارت الزراعة صيفية ففقدت الاطيان الفائدة من طمي النيل وصارت محتاجة الى التسميد. وقد قلَّ عدد المواشي في السنين الاخيرة فقلَّ مقدار السباخ البلدي وزاد عدد السكان فزاد ما يأكلونهُ من اللحم وما يذبح من المواشي فاضطر اهل الفلاحة ان يكثروا من استعمال السماد الكفري والسماد الكيماوي. وزد على ذلك ان قلة الوقود في القطر المصري تضطر الفلاحين الى حرق جذور النبات وزبل المواشي وكل ما يمكن ان تسمد بهِ الارض من المواد الآلية

اما المواشي فتظهر قلتها في الجدول التالي

السنة	البقر	الجواميس	المجموع
١٩٠٧	٧٧٨ ٨٩٦	٧٦١ ٤٨٦	١ ٥٤٠ ٣٨٢
١٩٠٨	٧٣٧ ٧٣٢	٧٥٠ ٥٤٨	١ ٤٨٨ ٢٨٠
١٩٠٩	٧٢٥ ١١٦	٧٢٨ ٢٨٤	١ ٥٥٣ ٤٠٠
١٩١٠	٧٦٢ ٠٩١	٧٦٥ ٣٩٢	١ ٥٢٧ ٤٨٣
١٩١١	٦٥٦ ١٦٦	٦٥٧ ٤٠٦	١ ٣١٣ ٥٧٢
١٩١٢	٦١٩ ٥٤٠	٦٥٢ ١٨٦	١ ٢٧١ ٦٢٦
١٩١٣	٦٣٧ ٠٩٨	٦٣٢ ٧٢٥	١ ٢٦٩ ٨٢٣
١٩١٤	٦٠١ ١٣٦	٥٦٨ ٣٨٨	١ ١٦٩ ٥٢٤
١٩١٥	٥٥٣ ٦٣٢	٥٣٨ ١٠٩	١ ٠٩٩ ٧٤١
١٩١٦	٤٩٢ ٦٠٠	٥١٥ ١٢١	١ ٠٠٧ ٧٢١
١٩١٧	٥٠٩ ٥٢١	٥٦٥ ٧١٥	١ ٠٧٥ ٢٣٦
١٩١٨	٥٠٧ ٤٥٢	٥٧١ ٠٦٠	١ ٠٧٨ ٥١٢

نترات الصودا وسلفات الامونيا

قابل جرنال وزارة الزراعة الانكليزية بين هذين السمادين فقال ان نترات الصودا اسرع فعلاً من سلفات الامونيا وانفع منها في الاطيان القليلة الجير (الكلس) . وسلفات الامونيا افضل من نترات الصودات لبعض المزروعات كالبطاطس والشعير الذي يراد استعماله لعمل البيرا ولا يضر في حرث الاراضي الثقيلة حيث تضرّ نترات الصودا. وفي كل ٧٦ رطلاً من سلفات الامونيا نتروجين يساوي ما في ١٠٠ رطل من نترات الصودا ولكن نتروجين سلفات الامونيا ليس فعالاً مثل نتروجين نترات الصودا بل الماية رطل من نتروجين نترات الصودا تقوم مقام ١٠٣ ارطال ونصف من نتروجين سلفات الامونيا فالماية رطل من نترات الصودا تفعل مثل ثمانين رطلاً من سلفات الامونيا من حيث النتروجين ولكل من السمادين مزية على الآخر في احوال مخصوصة

باب التقريظ والانتقاد

التربية والتعليم

مجلة شهرية تصدرها ادارة المعارف العامة في دمشق

جاءَنا الجزء الاول من هذه المجلة في اواخر شهر فبراير الماضي فلم نتمكن من تقريظهِ في مقتطف مارس ولكننا اطلعنا على مقالاتهِ حينئذٍ وطالعنا بعضها فاعجبنا بها واتضح لنا ان الاستاذ ساطع الحصري منشىء اكثر مقالات هذه المجلة رجل عالم عامل يكتب ما يكتب عن خبرة تامة. ثم جاءَت الاخبار بعد ذلك ان حكومة سورية اختارتهُ وزيراً للمعارف فاحسنت صنعاً واعطت القوس باريها

وفي هذا الجزء ديباجة لا تتوكأُ على شيءٍ من العبارات التي اعتاد كتابنا افتتاح مؤلفاتهم بها بدأها كاتبها بقولهِ « مقصدنا الاساسي من نشر هذه المجلة هو ارشاد الاساتذة الى الطرائق التي يجدر بهم مراعاتها في ترتيب المدارس وتربية التلاميذ والقاء الدروس وبالجملة امدادهم بكل ما يساعدهم في ايفاء وظائفهم التي هي اصعب الوظائف واشرفها » . ثم شرح كيفية الوصول الى هذا الغرض . ويلي ذلك نص خطبة القاها في مؤتمر المعلمين في شهر تموز (يوليو) الماضي ثم مقالات كثيرة علمية وعملية تتعلق بالتعليم بقلمهِ واقلام غيرهِ من الكتّاب

﴿ نزهة الطرف في قراءَة الكف ﴾ رسالة وجيزة في هذا الموضوع تعريب حنا افندي اسعد فهمي موضحة بالرسوم

﴿ التمرينات الهندسية ﴾ لطلاب المدارس الثانوية تأليف ميشيل افندي ظريفه وهو يشتمل على ٨٨٤ تمريناً على ما تقرر لتدريس الطلبة السنتين الاولى والثانية في برنامج وزارة المعارف مذيلة باسئلة امتحانات شهادة الدراسة الثانوية قسم اول منذ ظهورها. وحبذا لو اشتملت هذه التمرينات على مسائل عملية مما يقع للمساحين والبنائين في هذا القطر

❊ الحسنات في مطالعة البنات ❊ تأليف حبيب افندي سلامه. وهي دروس بسيطة بالشكل الكامل وتمارين في الانشاء واناشيد مضبوطة بعلامات الموسيقى الافرنجية

❊ تحية مصر ❊ قصيدة لحضرة قسطنطين افندي داود تلاها في حفلة جمعية القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس ومنها قولهُ

احبك حبًّا ليس يوصف يا مصر فانتِ الى قلبي المسرّة والبشْرُ
فليس وايم الحق شيءٌ يروقني سواكِ اذا ما بشَّ او عبس الدهرُ
ديار حوت خير الأنام وقد همت غيوث نداهم مثلما هطل القطرُ

❊ رواية يوليوس قيصر ❊ تعريب ناشد افندي لوقا من روايات شكسبير في نسخة كمبردج واكسفرد. والرواية من ابلغ روايات شكسبير وهي حقيقة بالترجمة الى العربية والتمثيل فيها ولو لم يكن فيها الأَّ خطبة انطونيوس التي اقام فيها القيامة على بروتس لكفى. اما اختيار الالفاظ والتعابير التي يفهمها الجموع المحتشدة في مشاهد التمثيل وتؤثر في نفوسهم فمن اصعب ما يعانيهِ مترجمو الروايات التمثيلية وعسى المعرب ان يكون قد فاز فيها الفوز المطلوب

❊ رسالة في الخط لمؤلفها الشيخ احمد رضا ❊ موضوع هذه الرسالة من المواضيع التي تناولها العلماء بالبحث والتحقيق وقد جمع المؤلف خلاصة آرائهم وذكر منها الراجح والمرجوح. والرسالة مسهبة تقع في ٤٨ صفحة بقطع المقتطف وحرفهِ

❊ تعليم القرآن The teaching of the Quran ❊ كتاب انكليزي للقس ستنتون جمع فيهِ ما يراهُ خلاصة التعاليم الدينية والادبية التي يحويها القرآن

❊ نظرتان وطنيتان ❊ مقالتان لحضرة الكسان بك ابسخرون الاولى في سبيل الاقتصاد السياسي ارتأى فيها ان تكتتب الامة المصرية سنويًّا بقدر عشر في المائة من مجموع اموال اطيانها اي بنحو ستمائة الف جنيه كل سنة على عشر سنوات فيجتمع من ذلك ستة ملايين من الجنيهات تنشيء بها كل سنة او سنتين مشروعاً اقتصاديًا مثل بنك وطني وشركات زراعية وصناعية وتجارية فتصبح متضامنة في العمل. والمقالة الثانية في محاربة الغلاء ارتأى فيها ان تفرض الحكومة على كل

فدان مزروع حبوباً مقداراً معيناً من الغلة تشتريهِ بثمن معتدل تحددهُ مجالس المديريات او الحكومة وتخزن ما تشتريهِ بهذه الطريقة في شون تعدُّ لذلك في كل مركز او مديرية او محافظة ثم تبيع هذه الغلال للموظفين والعمال وغيرهم ممن يثبت ان لا اطيان لهم مملوكة او مؤجرة بثمن ينقص عن اصلهِ ٢٥ في المائة على الاقل . او تبتاع كمية كبيرة من حاصلات البلاد الاجنبية التي هي فيها ارخص مما عندنا وتبيعها للجمهور كما تشتريها او بانقص . او تزرع جانباً كبيراً من اراضيها لحسابها حبوباً وتبيع حاصلاتها كما كلفتها او باقل . واشار ان تضرب الحكومة على تجار المانيفاتورة ضريبة تأخذها منهم كما فعلت في ضريبة القطن تشتري بها مواد غذائية وتبيعها للفقراء والعمال والموظفين بثمن معتدل

﴿ انطونيوس البشعلاني ﴾ هو اول مهاجر سوري دخل اميركا وكان دخولهُ اليها سنة ١٨٥٤ لكنهُ مرض فيها وتوفي في نيويورك سنة ١٨٥٦. وعلى اثر وفاتهِ كتب احد الاميركيين سيرة حياتهِ ونصب اصدقاؤهُ الاميركيون على ضريحهِ نصباً كبيراً نقشوا عليهِ خلاصة سيرتهِ. وقد لخص الاستاذ فيليب حتّي احد اساتذة جامعة كولمبيا بنيويورك هذا الكتاب بالعربية وطبع الملخص في المطبعة التجارية السورية الاميركية بنيويورك . ولا يسع المطلع على هذه السيرة الاَّ ان يرى في صاحبها اثر حب الاسفار وتجشم المشاق مع الدعة وعرفان الجميل وحب الوطن الصفات التي امتاز بها اسلافهُ الفينيقيون

﴿ خواطر الاميرة ﴾ لصاحبة السمو الاميرة الجليلة قدرية حسين كريمة سلطان مصر الاول مقام رفيع في عالم الانشاء باللغة التركية نظماً ونثراً . وقد جمعت بين تخيل الشعراء وحكمة الفلاسفة وبلاغة مشاهير المنشئين. وامامنا الآن خواطر فلسفية نظمتها باللغة التركية ونقلها منها الى العربية حضرة عبد العزيز افندي امين الخانجي وهي في مواضيع مختلفة كالحرية والوطن والمعاونة والشكر والفضيلة والارادة والمرأة والرحمة والقلب والانسان والمال والحياة وما اشبه .وفي كل موضوع منها طائفة من الاقوال الحكمية كلها من جوامع الكلم لم نرَ في كل ما وقفنا عليهِ من اقوال الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين ما هو ابلغ منها او اجمع . ونود ان تكون هذه الخواطر في يد كل تلميذ وتلميذة

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج من دائرة بحث المقتطف . ويشترط على مسائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرّره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) ارتفاع الزئبق في البارومتر

الاسكندرية . شكري افندي فرج . اذا املنا انبوبة بارومترية حتى يصير البعد الراسي بين قمتها وسطح الزيبق في الوعاء اقل من ارتفاع الزيبق فيهما وهي رأسية رأينا ان الزيبق يملأها تماماً اذا كانت خالية من الهواء فما سبب الزيادة مع ثبوت الضغط الجوي

ج . لنفرض ان ضغط الهواء يعادل ٧٦٠ مليمتراً اي انهُ يرفع الزيبق في انبوب البارومتر ٧٦٠ مليمتراً فاذا زاد ضغط الهواء عن ذلك رفعهُ ايضاً اي زاد ضغطهُ على الزئبق في الاناء فدخل جانب منهُ الانبوبة وارتفع فيها حتى يصير ضغط الزيبق الذي في الانبوبة معادلاً لضغط الهواء على وعاء الزيبق او حوض الزيبق . والتوازن في السائلات يكون بنسبة ارتفاعها العمودي او الراسي فاذا املنا انبوبة البارومتر قلّ ارتفاع الزيبق الذي فيها عمَّا كان اي قلّ ارتفاعهُ الراسي عمَّا يلزم للتوازن مع ثقل الهواء فيدخل جانب من زيبق الحوض الى الانبوبة وقد يملأها كلها مادامت خالية من الهواء اذا كان ارتفاعها الرأسي لا يزيد على ضغط الهواء

(٢) نور الشمس وحرارتها في الفضاء

ومنهُ . قيل ان اشعة الشمس تمر في المسافة التي بينها و بين الارض ولا تنيرها ولا تسخنها فكيف تسير في تلك المسافة ولا تنيرها وكيف تسير فيها تلك الحرارة الشديدة ولا تسخنها . فان قيل ان فراغ المسافة الهوائية من الذرات اللازمة لعكس نور الشمس هو الباعث على ذلك قلنا ان لا فراغ في الطبيعة وان الشمس لا تستطيع ارسال اشعتها وحرارتها الى الارض وباقي سياراتها بلاواسطة متصلة اتصالاً متوالياً فكيف تكون المسافة بين الارض والشمس خالية من الذرات والجواهر اللازمة لعكس نور الشمس و بث حرارتها في الجو

ج . لا بدَّ لنا قبل شرح ذلك من ايضاح الامور التالية وهي اولاً ان قولهم لا فراغ في الطبيعة غير صحيح على اطلاقهِ او على ما كان يفهمهُ القدماءُ. وثانياً ان الفضاء الذي يمر فيهِ نور الشمس وحرارتها من غير ان ينار ويسخن هو الفضاء الذي بين الشمس وآخر ما يصل اليهِ الهواءُ الجوي اي الى نحو مائتي ميل عن سطح الارض. وثالثاً ان دقائق الهواء يؤثر فيها نور الشمس وحرارتها . وقد فرض علماءُ الطبيعة ان المسافة بين الشمس والارض مملوءَة بالاثير وهو ينقل النور والحرارة بتموجهِ كما ينقل الهواءُ الاصوات على نوع ما وهو الذي ينقل النور في هواءِ الارض لا الهواءُ نفسهُ . ونقلك للشيء لا يستلزم اخذك بعضهُ لنفسك فالسفن تنقل البضائع ولا تأخذ شيئاً منها والمركبات تنقل الركاب ولا تمتلكهم. نعم ان دقائق الهواء تعكس النور وتفرقهُ وتمتص الحرارة وتتحرك بها فتنقلها معها من جهة الى اخرى ولكن الاثير لا يفعل ذلك بل يكتفي بنقل القوة من جهة الى اخرى كما لو ربطتَ حجراً كبيراً بحبل طويل وشددت الحبل بيدك فانهُ ينقل قوة يدك الى الحجر ويجرهُ ولكن الحبل يبقى حبلاً على حالهِ . ولو كان الاثير الذي بين الشمس وجو الارض يمتص شيئاً من نور الشمس وحرارتها لما وصل الينا شيءٌ منهما . نقف في الشمس وقت الظهيرة والحر يشوي الابدان فتمر غيمة لطيفة فوق رؤوسنا فنشعر حالاً بانخفاض الحرارة لان ذرات البخار التي في تلك الغيمة امتصت جانباً كبيراً من اشعة الشمس مع ان سمك الغيمة قد لا يكون الاَّ بضعة امتار فهل يحتمل ان يصل الينا شيءٌ من نور الشمس وحرارتها لو كان الاثير يمتص شيئاً منهما وسمكهُ بيننا وبين الشمس اكثر من تسعين مليون ميل. ولبعض العلماء رأي آخر نراهُ معقولاً وهو ان ما يصل الى الارض وجوها من الحرارة والنور انما هو تفاعل كهربائي بيننا وبين الشمس وسائر اجرام السماء فلا يخرج من الشمس شيءٌ من حرارتها الاَّ بمقدار ما تفعل بها سائر اجرام السماء اي لا يخرج منها شيءٌ ويضيع في الفضاء الذي لا مادة فيهِ

(٣) الشفاء بوضع الايدي

ومنهُ . قلتم في الجزء الثامن من السنة السادسة في باب المسائل عند جوابكم على مستفهم " ان شفاءَ المرض على هذا المنوال (وهو وضع الحكيم فارس افندي اللبناني يدهُ على المريض فيشفى) لا ريب فيهِ وقد كشف اهل العلم سرَّهُ

كما اوضحنا ذلك في مقالة المرض والانتظار المدرجة في هذا الجزء فراجعوها ، فلما بحثنا عن هذه المقالة لم نجدها في ذلك الجزء ولا في السنة كلها فنرجو توضيح ذلك

ج. كنا حينئذٍ نطبع نسختين من المقتطف نسخة كبيرة تحوي كل مقالاتهِ والاشتراك فيها جنيه في السنة ونسخة صغيرة تحتوي بعض مقالاتهِ والاشتراك فيها نصف جنيه في السنة. وصفحات المجلد السادس الكبير ٧٦٠ صفحة وصفحات الصغير نحو نصف ذلك . والظاهر انكم بحثتم عن مقالة المرض والانتظار في المجلد الصغير وهي مدرجة في المجلد الكبير فقط في صفحة ٤٨٩ وما بعدها وهي حسنة جدًّا وربما اعدنا نشرها في جزء تالٍ

(٤) النور من مصباح اطفئ

ومنهُ. اين يذهب النور اذا اطفأنا مصباحاً موقداً

ج. ان اللهب المنير غاز ملتهب بالحرارة وهو يتبدد في الهواء دواماً ويأتي غاز آخر بدلاً منهُ ما دام المصباح مشتعلاً فاذا انطفأ تبدد هذا الغاز الذي كان ملتهباً ولم يأتِ غاز آخر يقوم مقامهُ

(٥) الاشتغال بالعلم ولا مال

ومنهُ . هل يستطيع الانسان ان يشتغل دائماً بالعلم وحدهُ وليس لهُ مصدر مالي يعيش منهُ

ج . كلاَّ . قرأنا مرة عن رجل اميركي كان اكبر علماء الفلك في عصرهِ انقطع للبحث العلمي ولم يُعنَ بامر معيشتهِ فوجد في بيتهِ ذات يوم ميتاً من الجوع

(٦) اللون الاحمر والهلال

مصر . صلاح الدين . الى ماذا يشير اللون الاحمر في العلمين العثماني والمصري والى ماذا يرجع معنى الهلال والنجمة في العلمين المشار اليهما

ج. يظهر لنا ان اكثر الامم اختارت اللون الاحمر في اعلامها لانهُ يظهر عن بُعد. وامامنا الآن صورة ٣٥ علماً من اعلام الدول ولا يخلو منها من اللون الاحمر الاَّ اربعة علم روسيا الامبراطوري البحري وعلم اليونان وعلم الارجنتين وعلم البرازيل والثلاثة الاولى مؤلفة من الازرق والابيض والرابع من الازرق والابيض والاصفر والاخضر . ويكثر اللون الاحمر في العلم العثماني والانكليزي والياباني والاسباني والسويسري والبيروي والدنماركي والنمسوي والايطالي والفرنسوي . اما الهلال والنجمة فشعار بزنطي قديم بدليل وجودهِ في بعض النقود البزنطية القديمة اقتبسهُ الاتراك من الروم ويحتمل انهُ كان قديماً في اسيا الصغرى من عهد البابليين

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر ابريل

	يوم	ساعة	دقيقة	
البدر	٣	٠٠	٥٥	مساء
الربع الاخير	١١	٣	٢٤	«
الهلال	١٨	١١	٤٣	«
الربع الاول	٢٥	٣	٢٧	«
القمر في الاوج	٩	٦	٣٠	صباحاً
« « الحضيض	٢١	٣	٠٠	«

السيارات فيهِ

عطارد والزهرة — يكونان كوكبي صباح

المريخ — يشاهد اثناء الليل

المشتري — يغرب نحو الساعة ٢ صباحاً

زحل يغرب نحو الساعة ٣ صباحاً

الامير فيصل ملك سورية

نودي في دمشق الشام يوم ٨ مارس الماضي بالامير فيصل ملكا على سورية في حفلة جمعت بين الابهة والبساطة بحضور امراء الجيش العربي وكبار رجال الدولة والدين

هبة كريم بعد وفاته

مات المستر كارنجي المحسن الكبير لكن احسانهُ لم يمت معهُ فان اللجنة التي اقامها في نيويورك لتتصرف بما اعطاها من الاموال اعلنت انها ستهب اكادمية العلوم الاميركية ودار البحث الوطني خمسة ملايين من الريالات الاميركية لكي تقيما بها بناء لائقاً في مدينة وشنطون وتنفقا ما بقي منها في سبيل البحث العلمي

الميزانية المصرية

صدرت الميزانية المصرية للسنة المالية الجديدة التي اولها شهر ابريل وقد قدرت الايرادات فيها بمبلغ ٠٠٠ ٢٧١ ٤٠ جنيه مصري والمصروفات بمثلها وهي اكبر ميزانية مصرية صدرت حتى الآن

اسلوب جديد لعمل الفولاذ

جاء في مجلة ناتشر ان اربعة من المخترعين في فرنسا استنبطوا اسلوباً

جديداً لعمل الفولاذ (الصلب) الفائق في متانتهِ. والاسلوب يشبه اسلوب بسمير لعمل الصلب ويمتاز عليهِ بان مواد لم يكشف المخترعون سرَّها تضاف الى الفولاذ وهو يصنع فيمزج في الدرجة التي يراد ان يكون فيها من الصلابة

خريطة مكسيكية قديمة

وجد في مدينة قديمة ببلاد المكسيك صندوق من الحجر فيهِ خريطة قديمة في وسطها صورة هيكل هرمي الشكل رأسهُ مسطح وعلى الخريطة كتابات بالقلم المكسيكي القديم لم تقرأ حتى الآن

التطعيم في الانفلونزا

نشر الجنرال السر وليم لشمن في مجلة اللانست الطبية نتائج تطعيم الجنود بالمصل المقاوم للانفلونزا وهو مؤلف من مكروبات الانفلونزا والستربتوكوكس والنومونيا فالذين طعموا وعددهم ١٥٦٢٤ اصيب منهم ١٤ في الالف وحدثت مضاعفات رئوية في ١٫٦ في الالف وتوفي ١٢٫٠ في الالف . واما الذين لم يطعموا وعددهم ٤٥٥٢٠ فاصيب منهم ٤٧ في الالف وحدثت المضاعفات في ١٥ وثلث في الالف وتوفي منهم اثنان ونصف في الالف

النبات والحر

لا شبهة في علاقة نور الشمس بنمو النبات وقد جرَّب العالم كلبس تأثير النور الكهربائي في نمو اغصان الزان فوجد انها في حالتها الطبيعية تبقى بضعة اسابيع فقط تنمو منها اغصان جديدة ولكن اذا التقي عليها النور دواماً من مصباح او سرام استمرَّ ظهور الاغصان الجديدة فيها ثمانية اشهر متوالية. والتي هذا النور على سنديانة فبقيت الاغصان الجديدة تتولد فيها اربعة اشهر من اشهر الصيف وثلاثة من اشهر الشتاء . وثبت ايضاً ان النور يفعل فعل السماد في اذكاء النبات . ووجد بالامتحان ان الرطوبة تزيد نمو النبات ولكنها تعيق ازهارهُ . وعلى الضد من ذلك الجفاف الشديد الذي يزيد خروج البخار من النبات فانهُ يدفعهُ الى الازهار. والنور الكثير يفعل فعل الجفاف الشديد في تكثير الازهار . وقد كان الامتحان في نوع او نوعين من النبات ولعلهُ يصدق بنوع خاص على القطن لانهُ اذا كانت ارضهُ كثيرة الرطوبة فنما كثيراً حتى ظلَّل بعضهُ بعضاً قلت ازهارهُ في الغالب. وظهر من بعض التجارب انهُ اذا اشتد الحر وقت ظهور كيزان الذرة قلَّ محصولها

فهرس الجزء الرابع من المجلد السادس والخمسين

صحيفة

٢٨٩ بسائط علم الكيمياء
٢٩٥ كتاب التفاحة
٢٩٦ مجلس جمعية الامم (مصوَّرة)
٢٩٧ الشيخ طاهر الجزائري . للسيد محمد كردعلي رئيس المجمع العلمي العربي
٣٠٥ ظلُّ الاله الثاني . للآنسة ماري زيادة (ميّ)
٣٠٩ اللقاح الواقي الخالي من الضرر
٣١٣ الجمعيات الخيرية . خطبة لصاحب السعادة سعيد باشا شقير
٣٢١ مرض النوم . لصاحب السعادة احمد باشا زكي
٣٢٣ اللوترية في انكلترا
٣٢٩ العطاس . للدكتور ولسن
٣٣٥ رحلة الى الشام . للدكتور يوسف غبريل
٣٣٨ اثبات الروح بالمباحث النفسية . لمحمد بك فريد وجدي
٣٤٦ تعقيب على اثبات الروح بالمباحث النفسية
٣٤٨ الناشىء الفقير . للسيد مصطفى لطفي المنفلوطي
٣٥٦ تغيرات البول في امراض البلدان الحارة . للدكتور فياض

٣٥٩ باب المراسلة والمناظرة * التنويم المغناطيسي والاعتقاد . البحث في باحثة البادية . مسائل المقتطف . جواب السؤال . الاسمدة النتروجينية . مسخ برأسين (مصورة)
٣٦٧ باب تدبير المنزل * النساء وازياؤهن . كم نعيش
٣٧١ باب الزراعة * الترمس لعلف المواشي . نقص محصول القطن من تقرير المستر بلو نترات الصودا وسلفات الامونيا
٣٧٦ باب التقريظ والانتقاد *
٣٧٩ باب المسائل * وفيه ٦ مسائل
٣٨٢ باب الاخبار العلمية * وفيه ٨ نبذ